جامع النافع

سلسلة إصدارات جامع النافع (2)

# مقدمة سنن ابن ماجه

تأليف الإمام / محمد بن يزيد بن ماجه

طبع هذا الكتاب على نفقة الشيخ
عبد العزيز بن عبدالله المعيذر
رحمه الله ، وغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين

# مقدمة سنن ابن ماجه

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعدُ:

فإنه لا شك في أهمية ذكر الاعتقاد الذي كان عليه أئمة الإسلام، خاصة بعد أن لبَّس أهلُ البدع على الأمة اعتقادها، وزعموا أن ما هم عليه من الاعتقاد الفاسد هو اعتقادُ علماءِ الأمة وأئمَّتِها. فلم يكتفِ هؤلاء بنشر اعتقادهم الباطل، بل نسبوا هذا الباطل لأئمة الإسلام، فمن هنا كان من الأهمية بمكانٍ شرحُ الاعتقاد الذي كان عليه الأئمة المصنفون، كمالكٍ والشافعيِّ وأحمدَ، وأهلِ كُتُب السُّنَّة السِّتَّة البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، وغيرهم من أئمة الإسلام الذين صنفوا في الاعتقاد، أو من روى المصنفون اعتقادهم بالسند، وذلك لبيان الاعتقاد الحق أولًا.

ثانيًا: للذب عن هؤلاء الأئمة الذين أُسيء إليهم بنسبة الاعتقاد الباطل لهم.

ثالثًا: لإفهام بعض من اغتر بما نشره الأفَّاكون من متأخري أهل البدع الذين زعموا أن ما هم عليه هو اعتقاد الأئمة، كما تلاحظه في مقالات

المفوِّضة من الأشاعرة اليومَ، الذين انتسبوا للإمام أحمد، وزعموا أن تفويض معاني الصفات هو الذي يُقرِّره الإمام أحمد، مع أن التفويض أحدُ قولي الأشاعرة، كما أقر بذلك عَرَّاب الأشاعرة: عبد الوهاب بن علي السبكي، حيث ذكر أن للأشعرية قولين في الصفات: أحدهما: التأويل، والثاني: هو التفويض، هذا كلامه، وقال: لا تثريب على من أخذ بأيٍّ من القولين.

لا ريب أن من نسب للإمام أحمد التفويض فإنه لم يعرف حقيقة اعتقاد أحمد المدون المعروف، كما لم يعرف حقيقة كون الأشاعرة قائلين بالتفويض كما أنهم قائلون بالتأويل جنبًا إلى جنب.

فيما يتعلق بالاعتقاد في سنن ابن ماجه، فقد ذكر هذا الإمام محمد بن يزيد القزويني -رحمه الله تعالى- اعتقاده في مقدمة سُنَنِه، وساق عليه النصوص الدالة عليه، وأبان عن أن المخالف لِما جاء في النصوص هم المبتدعة، وسَمَّى بعضهم وبوَّب عليه كالجهمية والخوارج ونحوهم.

وكما أوضح هذا الإمام اعتقادَه في كتابه هذا، فقد أبان هذا الاعتقادَ بقيةُ الأئمة، كالبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي، واتفقوا بحمد الله جميعًا على اعتقاد واحد لم يختلفوا فيه.

منهم من جمع معظم مسائل الاعتقاد في موضع واحد كابن ماجه هنا، وكالإمام أبي داود في سننه، فإنه أفرد كتابًا في السنن سماه كتاب السنة، داخل سنن أبي داود، أوضح فيه الاعتقاد الحق، وبين أن المخالف فيه هم الجهمية وأمثالهم من أهل البدع.

وبالجملة: فإن جميع أصحاب الكتب الستة كغيرهم من أئمة الإسلام قد أفصحوا عن اعتقادهم، فالبخاري مثلًا في الصحيح توسع في عرض الاعتقاد، فأفرد كتابًا داخل الصحيح للإيمان، وكتابا للقدر، وكتابا للتوحيد والرد على الجهمية، وغير ذلك من الكتب العقدية، وهكذا بقية الأئمة.

ومزية هذه الكتب الستة -أيها الإخوة- صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، مزية هذه الكتب أن إليها المرجع في معرفة حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-، فيَرجع إليها كلُّ من أراد معرفة أحاديث النبي صلوات الله وسلامه عليه في العبادات كالصلاة والزكاة والصوم والحج، وكذا المعاملات كالبيوع وما بعدها من الأبواب، وكذلك يرجع إليها مَن أراد معرفة الآداب الشرعية التي بينها النبي -صلى الله عليه وسلم- لأمته.

كما قال الإمام اللالكائي -رحمه الله تعالى- عن أهل السنة: "فهؤلاء الذين تعهدت بنقلهم الشريعة، وحُفظت بهم أصولُ السُّنة، فوجبت لهم بذلك المنة على جميع الأمة، وكل طائفة فمرجعها إليهم، في صحة الحديث وسقيمه، ومُعَوَّلُها عليهم فيما يُختلف فيه من أموره"، يعني الحديث.

ومراده -رحمه الله- أن ما جاءت به السنة النبوية من الأحكام والآداب يحتاجها جميع الطوائف بمن فيهم المخالفون لأهل السنة من المعتزلة والجهمية بسائر فروعهم، وكذا المرجئة والخوارج وغيرهم، كلهم مضطرون في معرفة هذه الأحكام والآداب التي روى نصوصها علماء السنة، فإذا رجع خصوم أهل السُّنة لهذه الكتب وجدوا أن علماء السنة كما دونوا أحاديث الأحكام، وأوضحوا ما دلت عليه، فقد دونوا أيضًا أحاديث العقيدة، وأوضحوا ما دلت عليه، فصار كل اتهام لأهل السنة بما سماه خصومهم تجسيما أو حشوا أو ما هو أشد من تكفير وتضليل صار يشمل هؤلاء الأئمة أصحاب الكتب الستة وغيرهم من أئمة السنة، الذين رووا هذه النصوص في العقيدة.

ولذا جابَهَ أهلُ البدع سؤالًا لا جواب لهم عنه حيث قيل لهم: إن زعمتم أن اعتقاد أهل السنة كفرٌ وضلالٌ، فلا تأخذوا عمَّن تُكفِّرونهم هذه النصوص

النبوية؛ إذ الكافر لا يحل قبول روايته، فواجهوا عقبة كؤودا، عملوا معها أن التفريق بين أحاديث الأحكام وبين أحاديث العقيدة أمر مستحيل، لذا قال غير واحد من أهل العلم في نصوص الصفات التي ردها المعطلة، لقد رواها من روى أحاديث الصلاة والصوم والزكاة، أي أن الباب واحد فيها جميعًا، فإن رد هؤلاء المبتدعة نصوص الصفات فليردوا نصوص الأحكام، وليبقوا رادين لجميع السنة، بما فيها أحاديث الأحكام، وإلا فليقبلوا جميع النصوص التي رواها أئمة السنة سواء في باب الاعتقاد أو باب الأحكام، ولا يجعلوا الهوى هو الضابط فيقبلوا ما وافق هواهم، ويردوا ما خالفه والله المستعان.

طريقتنا إن شاء الله تعالى في شرح أحاديث ابن ماجه، تعلمون أن المدة محدودة، وسنسعى بحول الله تعالى لشرح ما أمكن من نصوص المقدمة، ولو لم نتمكن من إنهائها ولا سيما الأخير منها وهو ما يتعلق بالعِلم في آخر المقدمة.

فالذي قبله من النصوص والأبواب مرتبط ارتباطا تامًا بالاعتقاد، والرد على الطوائف الضالة، ومرتبط ببيان المسلك الصحيح في التعامل مع النصوص ولزوم هدي النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهدي الخلفاء

الراشدين، والبعد عن البدع، فسنسعى بتيسير الله إلى إنهاء هذا القدر، فإن أمكن شرح الأحاديث المتعلقة بالعلم وآدابه فبها ونعمة وهي في آخر المقدمة، وإلا اكتفينا بالأبواب التي قبلها؛ لأنها مُمَحَّضة في الاعتقاد، ولزوم المنهج السوي في التعامل مع الهَدي النبوي وهَدي أصحابه -رضي الله عنهم- وترك البدع والضلالات.

ونبدأ إن شاء الله على خير في قراءة هذه المقدمة، وأحاديثها كثيرة الحقيقة، لكن قد يكون إن يسر الله تعالى المشروح يصل إلى حدود المائتي حديث إن شاء الله -عز وجل- بالأبواب، وهي كما قُلْنا متمحضة في المنهج وفي أيضًا الاعتقاد.. نعم.

{الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. اللهم اغفر لنا ولشيخنا ولوالديه ولوالدينا وللحاضرين والمستمعين يا رب العالمين..

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني -رحمه الله تعالى-:

بسم الله الرحمن الرحيم

باب اتِّباع سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا شَرِيكٌ عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَيْتُكُمْ فَانْتَهُوا».

حدثنا أبو عبد الله قال: حدثنا محمد بن الصَّبَّاح قال أنبأنا جَرِيرٌ عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَخُذُوا مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَانْتَهُوا».

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا أبو معاوية ووَكِيعٌ عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ».

حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير قال: حدثنا زكريا بن عَدِيٍّ عن ابن المبارك عن محمد بن سُوقَةَ عن أبي جعفر قال: كان ابن عمر -رضي الله عنهما- إذا سمع من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حديثا لم يَعْدُه ولم يُقَصِّرْ دونه.

حدثنا هشام بن عمار الدمشقي قال: حدثنا محمد بن عيسى بن سُمَيْعٍ قال: حدثنا إبراهيم بن سليمان الأفطس عن الوليد بن عبد الرحمن الجُرَشِيِّ عن جُبَير بن نُفَير عن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: خرج علينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ونحن نذكر الفقر ونَتَخَوَّفُه، فقال: «آلْفَقْرَ تَخَافُونَ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَتُصَبَّنَّ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبًّا، حَتَّى لَا يُزِيغَ قَلْبَ أَحَدٍ مِنْكُمْ إِزَاغَةً إِلَّا هِيَهْ، وَايْمُ اللهِ! لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ»، قال أبو الدرداء -رضي الله عنه-: صدق والله رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، تركنا والله على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء.

حدثنا محمد بن بشَّار قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا شُعبة عن معاوية بن قُرَّة عن أبيه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».

حدثنا أبو عبد الله قال: حدثنا هشام بن عَمَّار قال: حدثنا يحيى بن حمزة، قال: حدثنا أبو عَلْقَمَة نصر بن عَلْقَمَة، عن عُمَيْر بن الأسود وكَثِير بن مُرَّة الحَضْرَمي عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَوَّامَةً عَلَى أَمْرِ اللهِ لَا يَضُرُّهَا مَنْ خَالَفَهَا».

حدثا أبو عبد الله قال: حدثنا هشام بن عمار قال: حدثنا الجَرَّاح بن مَلِيحٍ قال: حدثنا بكر بن زُرْعَة قال: سمعت أبا عِنَبَة الخَوْلَاني وكان قد صلى القبلتين مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «لَا يَزَالُ اللهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَتِهِ».

حدثنا يعقوب بن حُمَيد بن كاسبٍ قال: حدثنا القاسم بن نافع قال: حدثنا الحجاج بن أَرْطَاةَ عن عمرو بن شُعَيْب عن أبيه قال: قام معاوية -رضي الله عنه- خطيبا فقال: أين علماؤكم؟ أين علماؤكم؟ سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا وَطَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ لَا يُبَالُونَ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ نَصَرَهُمْ».

حدثنا هشام بن عمار قال: حدثنا محمد بن شعيب قال: حدثنا سعيد بن بَشِير عن قتادة عن أبي قِلَابَةَ عن أبي أسماء الرَّحَبِيِّ عن ثَوْبَانَ -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ».

حدثنا أبو سعيد عبد الله بن سعيد قال: حدثنا أبو خالد الأحمر قال: سمعت مجالدًا يَذكر عن الشَّعْبي عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-

قال: كنا عند النبي -صلى الله عليه وسلم- فخَطَّ خَطًّا وخطَّ خطَّينِ عن يمينِه وخطَّ خطَّينِ عن يساره، ثم وضع يده في الخط الأوسط فقال: «هَذَا سَبِيلُ اللهِ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]»}.

بدأ -رحمه الله تعالى- بهذا الباب، وأحسن -رحمه الله تعالى- الاستهلال، وستجد إن شاء الله في الأبواب الآتية أن ابن ماجه -رحمه الله تعالى- قد أحسن عرض الأبواب، بتدريج علمي يأتي كلام عليه إن شاء الله.

أول ما بدأ به باتباع سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، روى في الحديث عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَيْتُكُمْ فَانْتَهُوا»، وهذا مطابق لقول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

واتباع سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- أمر حاتم واجب، قال الله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ﴾ [النساء: ٦٤]، قال ابن كثير: أي فرضت طاعته على من أرسله إليهم.

هذا هو الواجب، وهو معنى شهادة أن محمدا رسول الله، مقتضاها أن تطيع هذا الرسول الذي أرسله الله عز وجل.

الحديث الذي بعده أيضًا عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «ذَرُونِي» أي اتركوني من السؤال هذا المعنى، «مَا تَرَكْتُكُمْ» في اللفظ الآخر بيان السبب في قوله: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ» وذلك أنه -صلى الله عليه وسلم- قال: «إِنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا» فقال رجل: أكلَّ عامٍ يا رسول الله؟ فسكت عليه الصلاة والسلام، ثم قال: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ»، قوله -صلى الله عليه وسلم-: «هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» هذا باب عظيم جدا من العلم، ينبغي أن يعتني به المسلمون، لأن قوله -صلى الله عليه وسلم-: «هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» فيه تحديد أسباب الهلاك، فإذا عرفت أسباب الهلاك لزم تجنبها، ومن المناسب إن لم يكن أحد جمع هذه الأحاديث أن يجمعها أحد طلاب العلم، الأحاديث التي ورد فيها «هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» وهي كثيرة، بيان الأسباب التي هلكت بها الأمم، ومن ضمنها المذكور هنا، «فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ».

بسؤالهم في اللفظ الآخر: «بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ» أي كما وقع لبني إسرائيل حين أمروا بذبح بقرة، أي بقرة، ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة:

٦٧]، فكان يجزئهم أن يذبحوا أي بقرة، فتكلفوا في الأسئلة، ما هي؟ ما لونها؟ شددوا فشدد عليهم، حتى حددت بقرة معينة أجهدهم أن يجدوها.

فقال: «بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ» الأنبياء الأصل أن يتبعوا، اتباعا تاما، فإذا اختلف على الأنبياء فذلك يقع بسبب مخالفة ما بينه الأنبياء، وبذلك تقع الهلكة، في المتقدمين والمتأخرين، ثم أعطاك -صلى الله عليه وسلم- هذه القاعدة العظيمة: «فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَخُذُوا مَا اسْتَطَعْتُمْ»، في الأمر ربط الأخذ بالاستطاعة، «فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَخُذُوا مَا اسْتَطَعْتُمْ»، كما في الحديث، حديث عمران: «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ»، لكن لما جاء النهي أطلق فقال: «وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَانْتَهُوا»، أطلق الانتهاء عما نهى عنه، فيجب الكف عنه مطلقا.

قطعا هناك تفاصيل لأمر النهي، الأصل في النهي أنه يقتضي التحريم، هذا الصحيح للآية ﴿وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وهكذا الأصل في الأمر أنه يقتضي الوجوب، إلا إذا وجد صارف يصرف الأمر عن الوجوب، وصارف يصرف النهي عن الحتم والاجتناب.

فقول الله تعالى: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [الأنعام: ٧٢]، أمر يقتضي الوجوب، وأجمع عليه المسلمون أنه يجب أن تقام الصلاة، لكن قد يأتي أمر لا يقتضي

الوجوب إذا وجدت قرينة تدل على أن الأمر ليس للوجوب، مثاله: قوله -صلى الله عليه وسلم-: «صَلُّوا قَبْلَ الْمَغْرِبِ، صَلُّوا قَبْلَ الْمَغْرِبِ، صَلُّوا قَبْلَ الْمَغْرِبِ»، صلوا فعل أمر يقتضي الوجوب، فصرفه -صلى الله عليه وسلم- عن وجوبه بقوله في بقية الحديث: «لِمَنْ شَاءَ»، فقوله: «لِمَنْ شَاءَ» هو الذي صرف الأمر عن الوجوب وإلا الأصل أن الأمر يقتضي الوجوب، وأن النهي يلزم أن يجتنب ما نهى عنه عليه الصلاة والسلام إلا إذا دل النص على أنه ليس على سبيل الحتم.

فلأجل ذلك قال -صلى الله عليه وسلم-: «إِذَا أَمَرْتُكُمْ» وقال: «إِذَا نَهَيْتُكُمْ» على التفصيل الذي ذكرنا.

بعد ذلك ذكر حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ»، وهذا مضمون الآية في قول الله عز وجل: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وهذا لا شك فيه، أن من أطاع النبي -صلى الله عليه وسلم- فقد أطاع الله، لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- لا ينطق عن الهوى، فإذا أطيع فقد أطيع الله، وإذا عُصي فقد عُصي الله؛ لأنه لا ينطق -صلى الله عليه وسلم- عن هوى.

الحديث الذي بعده في بيان حال الصحابة -رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم-، وأعطى المثال عليهم بابن عمر، وهذا هو مسلك الصحابة جميعًا، كان ابن عمر إذا سمع من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شيئا لم يعده أي لم يتجاوزه بالزيادة والمبالغة، ولم يقصر دونه، لم يقصر من التقصير، أي أنه لا ينقص منه، والمعنى أنه يلتزم ما جاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم- التزاما تاما، فلا يزيد ولا ينقص، لا إفراط ولا تفريط.

الحديث الذي بعده عن أبي الدرداء -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- خرج عليهم وهم يذكرون الفقر، والخوف من الفقر من طبع الإنسان، حتى لو كان غنيا فمن طبعه أنه يخاف الفقر، وذلك من تسويل الشيطان، ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، فمن طبع الإنسان إلا من زكاه الله أن ينصاع لهذا الأمر وأن يتخوف من الفقر، مع أن الأمة وعدت بضد الفقر، وهو المذكور هنا في الحديث، وفي أحاديث كثيرة جدا، فلما خرج وهم يتذاكرون الفقر ويتخوفونه، قال: «آلْفَقْرَ تَخَافُونَ؟» المد هنا استفهام، مثل قول الله عز وجل: ﴿آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ [يونس: ٥٩]، إذا مدت فإنها تعني الاستفهام، «آلْفَقْرَ تَخَافُونَ؟» أي هل الفقر تخافون؟ «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ!» وهذا كثير من حلفه -صلى الله عليه وسلم-، والذي بيده

النفس هو الله عز وجل، «لَتُصَبَّنَّ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبًّا»، وهذا من علامات النبوة، وقد أخبر -صلى الله عليه وسلم- في أحاديث كثيرة لأنه لا يخاف الفقر على الأمة، «وَاللهِ! مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا فَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ».

فالخوف هو من التدافع والتنافس على الدنيا، وهذا من دلائل النبوة، فإن من أكثر ما أوجد الخلافات في الأمة، أمور مرتبطة بالهوى والتزام المبتدع لبدعته، والتنافس على الدنيا. فقال -صلى الله عليه وسلم-: «لَتُصَبَّنَّ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبًّا، حَتَّى لَا يُزِيغَ قَلْبَ أَحَدِكُمْ إِزَاغَةً إِلَّا هِيَهْ» قوله -صلى الله عليه وسلم-: «لَا يَزِيغُ» أي لا يميل قلب أحدكم إلى هيه، قلب أحدكم إلا هيه، يعني يزيغ قلب أحدكم إزاغة إلا هيه، هيه هذه المقصود حتى لا يزيغ قلب أحدكم إلا هي، أي الدنيا، الهاء هذه تسمى هاء السكت، مثل ما ورد في قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾ [القارعة: ١٠]، وغير ذلك من النصوص.

هنا قال -صلى الله عليه وسلم-: «وَايْمُ اللهِ!» وايم الله هذا حلف، قال بعض أهل العلم، أصلها: يمين الله، وتجمع على أيمن الله، ثم كثر فحذفوا النون، فصار يقال: أيم، وأصلها أيمن الله، «لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ»،

ترك -صلى الله عليه وسلم- أمته على أمر بين لا يضل من تمسك به، «لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ»، من عِظم وضوح هدي النبي -صلى الله عليه وسلم-، فهو طريق واضح جلي لا يزيغ عنه والعياذ بالله إلا هالك، كما في الحديث الآخر.

الحديث الذي بعده فيه قوله -صلى الله عليه وسلم- وبشارة منه عن حال طائفة من أمته تستمر ثابتة على هديه -صلى الله عليه وسلم-، وتكاثرت ولله الحمد بهذا النصوص أن هذه الأمة لا يصيبها ما أصاب الأمم قبلها، من ضياع دينها، هذا الدين ولله الحمد لا يضيع، لا يزال في هذه الأمة من يقوم به إلى أن يأتي أمر الله كما في النصوص.

إذا تأملت هذه النصوص وجدت فيها البشارات، على النحو الآتي:

الحديث الأول: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي» هذا الاستمرار لهذه الطائفة ما حاله؟ على النحو الآتي:

أولا: منصورون.

ثانيا: لا يضرهم من خذلهم.

فهم منصورون ونصرهم بنوعين من النصر، نصر بالسنان والقتال والجهاد في سبيل الله، ونصر بظهور حجتهم على من خالفهم.

فأما النصر بالجهاد في سبيل الله فهو مربوط بقوله عز وجل: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، فأمر الله الأمة أن تستعد بالذي تستطيعه، فإذا أعدت الذي تستطيعه فالله تعالى هو الذي يتولى نصرها، كما قال عز وجل: ﴿إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧]، ونصر الله يكون بالقيام بما أوجب، والكف عما حرم، فيتولى الله تعالى نصر من سلك هذا المسلك.

الثاني: النصر المتعلق بالحجة، وبيان الحق، فهذا ولله الحمد والمِنَّة كما قال عز وجل: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]، طبيعة الحق قوية، جلي، واضح، كما قال -صلى الله عليه وسلم-: «لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا»، الحق واضح جلي، ولهذا ذكر الله تعالى أن الحق يُقذف قذفا ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، طبع الباطل أنه زهوق ضعيف، أما الحق فجعله الله تعالى قويا، فلهذا هم منصورون من هذه الناحية دائما، فلا ترد ولله الحمد حجتهم إلى قيام الساعة؛ لأنها حجة الإسلام.

«لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ» لو أن أحدا تخاذل، انتكس، ترك نصرهم، قلوا، تسلط عليهم الناس، فذلك لا يضرهم، وهم باقون حتى لو أحاط بهم أهل الأرض كلهم، فإنهم باقون على ما هم عليه، حتى تقوم الساعة.

في الحديث الذي بعده حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- وصف هذه الطائفة بأنها قوامة على أمر الله، فهم قائمون وهذا وجه قوتهم أنهم قائمون بأمر الله، والقائم بأمر الله يتولى الله -عز وجل- نصره ويهيئ له من النصر ما لا يهيأ لغيره، ولهذا قال «قَوَّامَةً عَلَى أَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهَا مَنْ خَالَفَهَا» فسواء خذلوا أو خولفوا فذلك لا يضرهم.

في هذه النصوص أنها طائفة واحدة؛ إذ الحق واحد، ولا يمكن أن يكون الحق في الاعتقاد، في الاعتقاد تحديدا لا يمكن أن يكون الحق منوعا، فيكون الحق مع هؤلاء ومع خصومهم في نفس الوقت، الحق واحد، إما أن يكون الحق مع أهل السنة، وإما أن يكون الحق مع خصومهم، أما أن تريد أن تجمع فتقول الحق مع هؤلاء ومع هؤلاء فهذا محال؛ لأن الذي ضد الحق هو الباطل، ولهذا جعلهم -صلى الله عليه وسلم- في أحاديث كثيرة طائفة واحدة، وهذه الطائفة مبينة كما في حديث معاوية رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وغيره من النصوص فيها أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر أن

أمته ستفترق على ثلاث وسبعين ملة، وفي بعض الروايات: فرقة، كلها في النار إلا واحدة، من فقه الصحابة -رضي الله عنهم- أنهم سألوا عن الواحدة، وما قالوا نوع لنا الطوائف الثنتين والسبعين، ماذا يقولون، ماذا يعتقدون؟ لا يهم هذا، الباطل ليس هو الذي يسأل عنه، هذا مقام عظيم، مقام نجاة أو هلكة، فسألوا عن الطائفة الناجية، فهذا من فقه الصحابة -رضي الله عنهم- ومن حسن أسئلتهم.

فأخبرهم أن هذه الطائفة هي من كان على مثل ما عليه هو -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، وفي اللفظ الآخر، قال: «هِيَ الْجَمَاعَةُ»، وهي الجماعة الأولى، فمن سلك مسلك الجماعة الأولى فهو على الحق في اعتقاده، في منهجه يكون على طريقة الجماعة الأولى، فيكون على هذا الوصف أنه لا يزال منصورا بإذن الله عز وجل.

ولن تنقطع ولله الحمد هذه الطائفة من الأمة، لا يزال في الأمة من يبين الحق حتى لو اشتدت غربة الدين، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر أن الدين سيعود غريبا كما بدأ، فقال: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»، وهؤلاء الغرباء هم المستمسكون بما كان عليه النبي -صلى الله عليه وسلم-، فحتى لو كان من حولهم كثيرون جدا على الباطل،

فهم مستمسكون بالحق الأول، ولهذا قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: (الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك).

يعني قد يوجد عدد قليل جدا من أهل السنة في محيط روافض، يشتمون الصحابة، ويسيئون الاعتقاد، فهل الجماعة هؤلاء الملايين من الروافض لا، الجماعة هذه القلة القليلة من أهل السنة.

فهذه الطائفة هي الثابتة الباقية، وهذه الأحاديث فيها بشارة ولله الحمد بأن الرب -عز وجل- مثبت هذه الطائفة وأن الحق لا يضمحل ويزول كما زال في كثير من الأمم التي قبلها، بل الحق ولله الحمد باقي.

حديث أبي عنبة -رضي الله عنه- وقد صلى القبلتين، يعني صلى القبلتين إلى بيت المقدس وإلى الكعبة، والمراد بذلك التنويه بقدم صحبته، لأن السابقين الأولين المراد بهم عند بعض أهل العلم من صلى القبلتين، فبعض أهل العلم يقول: إن السابقين هم من صلوا إلى القبلتين، يريدون أنهم ممن تقدم إسلام، وإن خالف في ذلك آخرون من أهل العلم، لكن لا شك أن من صلى القبلتين معناه أنه أدرك النبي عليه الصلاة والسلام في مكة إن كان من المهاجرين، وإن كان من الأنصار فمعناه أنه متقدم الإسلام، لأن النبي -

صلى الله عليه وسلم- صلى في المدينة بضعة عشر شهرا إلى بيت المقدس، ثم صرفت القبلة إلى الكعبة.

قال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «لَا يَزَالُ اللهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا، يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَتِهِ»، قوله -صلى الله عليه وسلم-: «لَا يَزَالُ اللهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ» هذا أيضًا مرتبط ببيان الطائفة التي على الحق، فالله تعالى هو الذي يتولى نصر هذه الطائفة، وهذا الغرس كما أن من في بستانه يغرس غرسا وينتظر نتيجته، فهذا الغرس هو أعظم الغرس، وهو غرس يغرسه الله تبارك وتعالى، ولما كان غرسا يغرسه الله تعالى فلو اجتمع أعداء الإسلام لإزالة هذا الغرس فلن يستطيعوا، لأن الذي يتولى نصر الدين هو الله -عز وجل- الذي بيده ملكوت السموات والأرض.

ولهذا قوله: «لَا يَزَالُ اللهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا» يدلك على أن الله تولى نصر الدين، وعلى أنه ليس مربوطا بأحد، بحيث لو خذل أحد هذا الدين لقيل ضاع الدين، وليس مربوطا بمجموعة، لو تركته هذه المجموعة لقيل ضاع الدين، أبدا، هذا الدين منصور من عند رب العالمين، الذي لا يزال يغرس في هذا الدين غرسا.

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى- في بيان هذا الغرس: (هم أهل العلم والعمل)، يبين المراد بهذا الغرس، الغرس الذين يغرسهم الرب -عز وجل- هم أهل العلم والعمل.

يدل عليه بقية الحديث: «لَا يَزَالُ اللهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا، يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَتِهِ» يُستعملون في طاعة رب العالمين.

في حديث معاوية -رضي الله عنه- أنه قام خطيبا فقال: أين علماؤكم؟، أين علماؤكم؟ وجاء في البخاري أن معاوية -رضي الله عنه- أخذ قصة من شعر من يد جندي وخطب في أهل المدينة، وقال: يا أهل المدينة أين علماؤكم؟ ثم قال: إن النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر أن من قبلنا هلكوا بمثل هذا، مثل ما ذكرنا الأشياء التي فيها هلكة الأمم، وهو الوصل للشعر، الذي تساهل كثير من النساء فيه، وتساهل بعض المفتين فيه، مع وجود النص الصحيح، بأن الوصل لا يجوز، وجود النص الصريح بلعن الواصلة والمستوصلة، ثم تجد من يفتي بصحته، مخالفة لحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

ولهذا سمى النبي -صلى الله عليه وسلم- الوصل وصل الشعر، سماه زورا، لأنه نوع من الكذب، تضع المرأة ما يصل شعرها فكأن شعرها طويل،

فما بالك بما يسمى في مثل هذا الوقت ما يسمونه بالباروكة، هذه من باب أولى، لأن وصل الشعر يؤخذ بعض الشعر فيوصل بنفس الشعر، لكن من تأتي بشعر ليس لها فتضعه على رأسها، ثم قد يتشهين تضع لون أشقر أو لون أصفر ونحوه، كل هذا داخل في الحديث، وهذا نوع من الوصل الذي يشمله هذا الحديث، وهو من دلائل غربة الحقيقة غربة الدين، أن يفتى بجواز مثل هذا الأمر الذي فيه لعن النبي -صلى الله عليه وسلم- لمن فعله.

في هذا الحديث أنه قال: أين علماؤكم؟ أين علماؤكم؟ سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا وَطَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ، لَا يُبَالُونَ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ نَصَرَهُمْ» بهذا اللفظ، وهو أيضًا في بيان تلك الطائفة الثابتة على الحق.

في حديث ثوبان -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر أنه «لَا يَزَالُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ طَائِفَةٌ عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ».

قوله هنا: «حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ» المراد بأمر الله هنا الريح الطيبة التي تكون قبل قيام الساعة، وهذا الحديث يبين إطلاقات الأحاديث السابقة، الساعة لا تقوم وعلى وجه الأرض مسلم، لا تقوم الساعة إلا على

شرار الناس، وذلك أن الأحاديث دالة على أنه بعد أن ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام ويهلك الله -عز وجل- على يديه المسيح الدجال، ثم يخرج يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، ثم إن الله تعالى يهلكهم، فتُؤمر الأرض بأن تخرج بركتها، وترد كنوزها، فيبقى الناس سَبْعًا ليس بين اثنين عداوة، ثم يُرسِل الله ريحًا تَقبضُ روحَ كل مؤمن وكل مسلم، حتى لو أن أحدكم كان في جوف جبل لدخلت عليه.. قال: «وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ» يعني عياذا بالله كما تفعل الحمير، من أن يَنْزُوَ بعضها على بعض علانية يعني تفعل الفاحشة عياذا بالله علانية، قال: «فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»، وفي الحديث الآخر: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ اللهُ»، وفي اللفظ الآخر: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

فقيام الساعة، الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس، كما في الآخر: «إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ»، فالذين تدركهم الساعة وهم أحياء هم كفار قطعا، لأنه كما في حديث مسلم أيضًا أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر أنه بعد أن يقبض المؤمنون والمسلمون، يبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر، وأنه

يتمثل لهم الشيطان، فيقول ألا تسمعون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وفي المسند: «فَيَعْبُدُونَهَا» وفي مسلم أنه قال: «يَعُودُونَ إِلَى دِينِ أَجْدَادِهِمْ، أَوْ آبَائِهِمْ» يعني في الجاهلية، يعودون يعبدون الأصنام، هؤلاء هم الذين تقوم عليهم الساعة.

أما الطائفة المنصورة فإن بقاءها إلى أن يبعث الله تلك الريح التي تقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، وهذا المراد بقوله هنا: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ»، أمر الله هو الريح هذه؛ إذ عند قيام الساعة لا تقوم كما قلنا إلا على شرار الناس، وعلى أهل الكفر.

الحديث الذي بعده عن جابر -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- خط خطا، وخط خطين عن يمينه، وخط خطين عن يساره، وهذه فيه توضيح الأمور بالطريقة الحسية، ومثل هذه الأمور توضح للسامع والمتلقي من طالب وغيره توضح الأمور، لا إشكال فيها بشرط ألا تتضمن صورا محرمة، فليس لأحد أن يقرب مثلا الوضوء أو نحوه بأن يرسم رسما ويحدد وجها ويبين معالم الوجه، يقال: لا، بهذه الطريقة لا، الوضوء علم الناس الوضوء تعليما، كما علمهم عثمان وعلي وغيرهم من الصحابة -رضي الله

عنهم- كانوا يأمرون أن يؤتى بالماء فيتوضؤون أمام الناس، فإذا أردت أن توضح للناس وَضِّح للناس بغير الصور المحرمة، فإذا رسمت فالرسم محرم بإجماع المسلمين، لا يجوز.

أما مِثل هذه الأمور كخَطِّ الخطِّ ونحوه، فهذه تبيين لا إشكال فيه، خط خطا، وخط خطين عن يمين وخطين عن يساره، ثم وضع يده في الخط الأوسط، وهو الخط المستقيم، فقال: «هَذَا سَبِيلُ اللهِ» سبيل الله أي طريق الله، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ أي الطُّرُق، ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وَرَدَ هذا عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وأرضاه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- خط خطا مستقيما وقال: «هَذَا صِرَاطُ اللهِ» وخط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال: «هَذِهِ سُبُلٌ» أي طرق «عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ»، وقرأ الآية: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ أي الطرق، كالبدع والضلالات ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ والسبيل سبيل الله هو الذي قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾، والذي قال الله لنبيه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

{أحسن الله إليكم..

قال -رحمه الله تعالى-:

باب تعظيم حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والتغليظ على من عارضه

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا زيد بن الحباب عن معاوية بن صالح قال: حدثني الحسن بن جابر عن المِقْدام بن مَعدي كَرِبَ الكِنْدِيُّ أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال «يُوشِكُ الرَّجُلُ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يُحَدَّثُ بِحَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِي فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ، أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللهُ».

حدثنا نصرُ بن علي الجَهْضَمِيّ، قال: حدثنا سفيان بن عُيَيْنَة في بيته أنا سألته عن سالم أبي النضر ثم مر في الحديث قال: أو زيد بن أسلم عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ اتَّبَعْنَاهُ».

حدثنا أبو مروان محمد بن عثمان العثماني قال: حدثنا إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن القاسم بن محمد عن

عائشة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ».

حدثنا محمد بن رمح بن المهاجر المصري قال: أنبأنا الليث بن سعد عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير أن عبد الله بن الزبير حدثه أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في شراج الحرة التي يسقون بها النخل، فقال الأنصاري: سرح الماء يمر، فأبى عليه، فاختصما عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ»، فغضب الأنصاري فقال: يا رسول الله أن كان ابن عمتك، فتلون وجه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ثم قال: «يَا زُبَيْرُ! اسْقِ ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ» قال: فقال الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك، @@فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

حدثنا محمد بن يحيى النيسابوري قال: حدثنا عبد الرزاق قال: أنبأنا معمر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ أَنْ يُصَلِّينَ فِي الْمَسْجِدِ»،

فقال ابن له: إنا لنمنعهن، فغضب غضبا شديدا وقال: إني أحدثك عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإنك تقول إنا لنمنعهن.

حدثنا أحمد بن ثابت الجحدري وأبو عمرو حفص بن عمر قالا: حدثنا عبد الوهاب الثقفي، قال: حدثنا أيوب عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن مغفل أنه كان جالسا إلى جنبه ابن أخ له فخذف، فنهاه وقال إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نهى عنها وقال: «إِنَّها لَا تَصِيدُ صَيْدًا، وَلَا تَنْكِي عَدُوًّا، وَإِنَّهَا تَكْسِرُ السِّنَّ وَتَفْقَأُ الْعَيْنَ»، قال: فعاد ابن أخيه يخذف، فقال: أحدثك أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نهى عنها ثم عدت تخذف، لا أكلمك أبدا.

حدثنا هشام بن عمار قال: حدثنا يحيى بن حمزة قال: حدثني برد بن سنان عن إسحق بن قبيصة عن أبيه أن عبادة بن الصامت الأنصاري النقيب صاحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- غزا مع معاوية أرض الروم فنظر إلى الناس وهم يتبايعون كسر الذهب بالدنانير وكسر الفضة بالدراهم، فقال: يا أيها الناس! إنكم تأكلون الربا، سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «لَا تَبْتَاعُوا الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ إِلَّا مِثْلًا بِمِثْلٍ، لَا زِيَادَةَ بَيْنَهُمَا وَلَا نَظِرَةَ»، فقال له معاوية: يا أبا الوليد لا أرى الربا في هذا إلا ما كان من نظرة، فقال

عبادة: أحدثك عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتحدثني عن رأيك، لئن أخرجني الله لا أساكنك بأرض لك علي فيها إمرة، فلما قفل لحق بالمدينة، فقال له عمر بن الخطاب: ما أقدمك يا أبا الوليد، فقص عليه القصة، وما قال من مساكنته، فقال: ارجع يا أبا الوليد إلى أرضك فقبح الله أرضا لست فيها وأمثالك، وكتب إلى معاوية: لا إمرة لك عليه واحمل الناس على ما قال فإنه هو الأمر.

حدثنا أبو بكر بن الخلاد الباهلي قال: حدثنا يحيى بن سعيد عن ابن عجلان قال: أنبأنا عون بن عبد الله عن عبد الله بن مسعود قال: (إذا حدثتكم عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فظنوا برسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي هو أهناه وأهداه وأتقاه).

حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال: (إذا حدثتكم عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بحديث فظنوا به الذي هو أهناه وأهداه وأتقاه).

حدثنا علي بن المنذر قال: حدثنا محمد بن الفضيل قال: حدثنا المقبري عن جده عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «لَا أَعْرِفَنَّ

مَا يُحَدِّثُ أَحَدُكُمْ عَنِّيَ الْحَدِيثَ وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ فَيَقُولُ: اقْرَأْ قُرْآنًا مَا قِيلَ مِنْ قَوْلٍ حَسَنٍ فَأَنَا قُلْتُهُ».

حدثنا محمد بن عباد بن آدم قال: حدثنا أبي عن شعبة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة ح، وحدثنا هناد بن السري قال: حدثنا عبدة بن سليمان قال: حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة أن أبا هريرة -رضي الله عنه- قال لرجل: يا ابن أخي إذا حدثتك عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حديثا فلا تضرب له الأمثال، قال أبو الحسن: حدثنا يحيى بن عبد الله الكرابيسي قال: حدثنا علي بن الجعد عن شعبة عن عمرو بن مرة مثل حديث علي رضي الله تعالى عنه}.

هذا الباب أتى عقب الباب السابق في وجوب اتباع النبي -صلى الله عليه وسلم-، وذكر في شيئين:

الأول: تعظيم حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- ليس كحديث الناس، الناس يقع في حديثهم الكذب والغلط، أما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فكما قال الله عز وجل: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣، ٤]، فإذا جاء حديث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيجب أن يعظم، وأن

يجل، وإذا خالف هذا الحديث مفهوما عند الإنسان، فإن هذا المفهوم يضرب عرض الحائط ويبقى حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هو المقدم، الناس أيها الإخوة طبائع، الناس مستويات من العلم، الناس أحوال منهم الجاهل منهم العالم، فيهم العرب، فيهم العجم، فيهم الحاضرة، فيهم البادية، فهناك مفاهيم كثيرة تنتشر في الناس، وتكون هذه المفاهيم في أحيان غير قليلة على خلاف حديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، فمباشرة يترك كل أحد مفهوما اعتاده وتربى عليه، واستيقن صحته سنين من عمره، فمجرد أن يأتي حديث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على خلاف ذلك، فإنه يترك هذا الكلام الباطل، ويعمل حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

فيجب أن يعظم حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ومن ذلك ألا يجعل حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في مقام المكذب، بأن يقال هذا الحديث خالف الواقع، هذا الحديث خالف العقل، هذا الحديث خالف العلم الحديث، يستحيل هذا الأمر، إذا ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فهو وحي، لا يمكن أن يخالف حقا، بل إذا وجدنا مخالفة لحديث علمنا علم اليقين أن هذه المخالفة باطلة، أيا كان مصدرها، ولهذا وجدت

مفاهيم ووجدت نظريات على خلاف حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ثم أبى الله -عز وجل- إلا أن يثبت بطلانها، ويصح حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عند المؤمن وهو صحيح على كل حال، لكن الله يظهر من آياته دلائل صدق رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولأجل ذلك أنكر كثير من الطوائف الضالة قديما كالمعتزلة بالذات ومن سار في ركابهم من أهل الكلام وغيرهم أنكروا أحاديث كثيرة بدعوى مخالفتها للعقل كما زعموا، وأنكر كثير من المتهوكين في هذه الأزمنة جملة من أحاديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بدعوى مخالفة العلم الحديث أو نحوه، أو مخالفة ما سموه الذوق، فهذا الذوق هو قلة الذوق وقلة الأدب، إذا خالف حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وإلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أتى بكمال الأدب، فلا يمكن أن يأتي في سنته ما هو خلاف الذوق، بل قلة الذوق وقلة الأدب أن يقال هذا في حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولهذا يجب أن يعظم حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، هذا المقام الأول.

الثاني: التغليظ على من عارضه، من عارض حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- منطلقا من أي منطلق، فإنه يجب أن يغلظ عليه، والتغليظ على

النوعين: التغليظ السلطاني، المرتبط بولاة الأمر وبالقضاة، والذين يجب عليهم شرعا إذا وجد من قال في حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما لا يليق أن يؤدبوه الأدب الشرعي البليغ، وألا يمكنوه من أن يقول باطله.

النوع الثاني من التغليظ: التغليظ الذي يملكه عموم المسلمين بالإنكار على من خالف حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ووجوب الجهر بأن ما هو عليه من الباطل، وأن عليه أن يعود عما قال، ويستغفر الله تعالى، فإن هو أصر وأبى فإنه جدير أن يهجر وأن لا يجالس، ولا يواكل، ولا يشارب، هذا الذي في اليد، فإذا قال: ما الذي حملكم على أن تفعلوا بي هذا الفعل؟ يقال: فعلك مع حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يجب أن نغلظ عليك حتى ترجع وتتوب إلى الله -عز وجل- مما قلت، فلذلك دارت النصوص على هذا.

ذكر الحديث الأول عن المقدام بن معدي كرب، معدي كرب هذا من الأسماء المركبة، فلذلك يكون من الممنوع من الصرف، مثل حضرموت ونحو ذلك، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «يُوشِكُ الرَّجُلُ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ» هذه صفة وصف بها النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا الرجل، الاتكاء يدل على ماذا؟ في هذا المقام يدل على نوع من عدم

المبالاة، ويدل على أن هذا الرجل من أهل الترف والمبالغة في النعيم الدنيوي، ولهذا في اللفظ الآخر: «مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ، شَبْعَانَ» شبعان دلالة على أن هذا الرجل قد أغدقت عليه النعم، ولذلك هو قد شبع بطنه، واستراح في جلسته، ثم قال: «بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ»، هذه الكلمة كأنها طيبة، عند كثير من العامة، يقول هذا الرجل يقول أنا أتبع القرآن، لكنها عين رد القرآن، لأن الله تعالى كما تقدم أوجب اتباع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فهذا القائل كاذب على القرآن، لأن الله -عز وجل- قال: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾ [النساء: ٨٠]، ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، فهذا كاذب في ادعائه أنه متبع للقرآن، لكنه يريد أن يرد ما جاءه من النصوص النبوية على خلاف هواه.

فقال -صلى الله عليه وسلم- بيانا للرد على قوله: ما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، رد بقوله: «أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللهُ» الذي حرمه رسول

الله -صلى الله عليه وسلم- من أين أتى -صلى الله عليه وسلم- بهذا التحريم؟ من عند الله، الذي أنزل القرآن، والقرآن أمرنا بأن نطيع النبي -صلى الله عليه وسلم-، فلأجل ذلك هذه المقالة مقالة مبطل يريد بها رد ما خالف هواه.

الحديث الذي بعده أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «لَا أُلْفِيَنَّ» لا ألفين أي لا أجدن «أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ» هذا مثل ما ذكرنا، يدل على نوع من التبسط والنعيم الذي هو فيه، «يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي»، إذا أتاه الأمر من النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول سمعنا وأطعنا، ما يقول لا أدري، ثم يحيل بزعمه إلى أنه متبع لكتاب الله، «لَا أَدْرِي! مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ اتَّبَعْنَاهُ» وهذا كما قلنا من كذبه.

الحديث الذي بعده حديث عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أعطى هذه القاعدة العظيمة: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»، الإحداث هو الابتداع والاختراع لأمر لم يأت به النبي -صلى الله عليه وسلم-، قوله: «فِي أَمْرِنَا هَذَا» المراد به في شأننا وفي ديننا، دين الله عز وجل، اخترع بدعة ما أنزل الله تعالى من سلطان، ما حكمها، قال -صلى الله عليه وسلم-: «فَهُوَ رَدٌّ»، فهو رد أي مردود، وفيه دلالة على رد

جميع الضلالات والبدع التي لا يكون لها أصل، وهذا الحديث وهذا الموضوع سيأتي له باب مستقل إن شاء الله تعالى في موضوع البدعة، وقد قال أهل العلم إن هذا الحديث من أحاديث الإسلام الجامعة الكبيرة، فهو قاعدة كبرى أن كل ما أحدث إلى قيام الساعة مما هو على خلاف .. مما لم يدل عليه الدليل من كتاب الله أو سنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-، فهو رد.

وإحداثات الناس كثيرة جدا على مدار السنين، تحدث الفرق الضالة، يحدث التجار، يحدث الحكام، تحدث النساء، يحدث الشباب، يحدث العباد الجهال، إحداثات كثيرة جدا، حكمها أنها على هذا الحكم النبوي: «فَهُوَ رَدٌّ».

كل ما أحدث في دين الله -عز وجل- فهو رد أي مردود، وفيه دلالة على وجوب تعظيم الحديث النبوي كما بوب عليه؛ لأنه إذا رُد كل ما لم يدل عليه الدليل فذلك لعظم شأن الدليل، فكل ما هو بلا دليل فإنه يرد على قائله.

الحديث الذي بعده أن رجلا من الأنصار -رضي الله عنهم- كان جارا للزبير في بستانه، فاختصم مع الزبير في شراج الحرة، الشراج جمع شرجة، وهي مسايل الماء، الماء إذا أتى السيل له مسايل، أهل البساتين هذه من الذي يستحق السيل، الأول، الأول يسقي ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، هذا

هو حكم الله عز وجل؛ لأن رزقه أتاه في البداية، فلا يقول قائل أغلق استقبالك للماء واجعله يأتي للبستان من بعدي، لا ليس له ذلك، بل يسقي الأول، فإن كان السيل قليلا ولم يصل للذي بعده فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وإن كان كثيرا فإن صاحب البستان يسقي فإذا أسقى أرسل الماء للذي خلفه، وهكذا الذي بعده الثاني يرسله للثالث وهكذا.

فاختصما في هذه المسايل وكثير الحقيقة ما يقع الخلاف بين أهل البساتين بسبب أمر الماء، قوله في شراج الحرة، الحرة هي الأرض ذات الحجارة السود، فتسمى حرة، فالنبي عليه الصلاة والسلام لما اختصم الزبير رضي الله تعالى عنه وهذا الأنصاري، قضى -صلى الله عليه وسلم- بقضاء فيه صلح بين الأنصاري وبين الزبير، فأمر الزبير أن يسقي ثم يرسل الماء إلى جاره.

فالأنصاري لما حكم بهذا الحكم غضب، وقال كلمة لا تليق، فقال: أن كان ابن عمتك، يعني حكمت للزبير بهذا لأنه ابن عمتك صفية، هذه كلمة عظيمة جدا، بادر كثير من الشراح بالقول بأن هذا الرجل من المنافقين، وهذا خطأ، وهذا الحقيقة يوجد في بعض الشروح أنهم ساعة يوجد كلمة من رجل يقولون هذا منافق، فمثلا في حديث عكاشة بن محصن -رضي الله عنه- لما

أخبر -صلى الله عليه وسلم- بسبعين ألفا يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، فقال عكاشة: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «أَنْتَ مِنْهُمْ»، فقام رجل فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ» فقال بعض الشراح: لأن هذا الثاني منافق.. خطأ ولا ينبغي مثل هذا في أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، بل على العكس هذا الذي قام وطلب من النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يدعو له هذا من دلائل كونه من المؤمنين، لكن لعله لم يبلغ درجة أن يدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب، فبدل أن يقول -صلى الله عليه وسلم- له: لست منهم، أجاب بجواب لطيف فقال: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»، لكن لا يعني أن هذا من المنافقين كما قال بعض الشراح.

وهكذا هذا الرجل من الأنصار -عفا الله عنه ورضي عنه- لما قال هذه المقالة الشديدة الشنيعة، قالها في حال غضب، فقال بعض الشراح هذا يدل على أنه من المنافقين إذ لا يقولها إلا منافق، وهذا أيضًا من الحقيقة التعجل؛ لأنه ثبت أن هذا الرجل من أهل بدر، وأهل بدر قال الله -عز وجل- اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم، لكن بادرة وقعت منه كلمة غير جيدة غير

مناسبة غير لائقة، فالقول بأنه منافق خطأ، لأن أهل بدر ليس فيهم منافق قطعا.

فالحاصل أن كانت كلمة غير مناسبة أبدا، فلم قال هذا تلون وجه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، تلون وجهه أي تغير وظهرت عليه -صلى الله عليه وسلم- آثار الغضب، فقال: «يَا زُبَيْرُ! اسْقِ، ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ»، لماذا؟ لأن هذا حق الزبير، يعني حق الأول هذا هو، أن يسقي حتى يبلغ الماء الجدر، ثم يرسل، لكنه -صلى الله عليه وسلم- أصلح بينه وبين الزبير بحيث يصل الماء إلى الأنصاري بعده بنوع من الصلح بين الزبير وبين الأنصاري، وإلا حق الزبير هو هذا أن يسقي حتى يرجع الماء إلى الجدر، هذا حقه، لكن النبي -صلى الله عليه وسلم- أراد أن يصلح بينهما وأتى على الزبير رضي الله تعالى عنه وأرضاه وأمره أن يرسل الماء إذا هو أسقى، لكن لم يستوعب حق الزبير، لأن هكذا الصلح، الصلح كثيرا في المحاكم يجري على هذا، يعني يأتي رجل فيقول هذه المرأة الآن لا تريد التي تزوجتها لا تريدني وأنا الآن ما عندي مانع في أن أطلقها لكن ترد علي مهري، حقه، لأنه دفع المهر، فيقول القاضي: لعلك تسقط ربع المهر، أو تسقط مقدار كذا وكذا من المهر، فيقول: تحكم علي حكما، يقول القاضي:

لا، ما أحكم عليك حكما، حكم الله أن يرد لك مهرك، فإن أصررت عليه فهذا حقك، لكن أنا أقول حتى تنتهي هذه القضية، وهي أم أولادك، وجرى بينكم من العشرة ما جرى، والمطلقة أصلا إذا طلقت تمتع حقا على المحسنين، فلعلك أن تقبل بمثل هذا، هذا معنى الصلح، لكن إذا أصر إنسان على حقه فله ذلك.

فالنبي -صلى الله عليه وسلم- أصلح بينهما صلحا حتى تنتهي القضية، فلما قال الأنصاري هذه الكلمة، أعاد للزبير حقه، وهو أن يستوعب حق الزبير حتى يرجع الماء إلى الجدر، فقال الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، ولا شك أن الأنصاري -رضي الله عنه- قد قال كلمة لا تليق، وأنه ندم لأنه يحدث بعض الأحيان أن يغضب الإنسان فيقول كلمة غير موزونة وغير جيدة لكن يندم عليها، الحاصل أن فيه دلالة على وجوب تعظيم حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال عز وجل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾ في ماذا؟ في كل ما شجر، كل ما فيه خصومة يجب أن يحكم فيها الوحي، يكفي؟ لا ما يكفي، إذا صدر حكم الله في هذه القضية فلا تقول أنا

هذا الحكم أنفذه، لا يجوز أن يوجد في نفسك في الداخل حرج، ويلزمك أن تسلم لحكم الله تسليما، وهذا من دلائل مقامات الإيمان الكبار، أنك إذا علمت حكم الله وإن كان على خلاف هواك، وإن كان في غير صالحك، فإنك تسلم لحكم الله عز وجل.

الحديث الذي بعده أن ابن عمر -رضي الله عنه- قال: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ أَنْ يُصَلِّينَ فِي الْمَسَاجِدِ»، وفي لفظ: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ»، في الحديث دلالة على أن المرأة لا يجوز أن تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه، لهذا قال -صلى الله عليه وسلم- لا تمنعوهن إذا أردن المساجد، هذا المعنى، وإلا فالأصل أن تلزم بيتها، وليس لها أن تخرج إلا بإذنه، حتى لو أرادت زيارة والديها أو مريضة أو نحوها، فإنها تستأذن زوجها، وليس لها أن تخرج من البيت إلا بإذنه، فإن الزوج كما قال -صلى الله عليه وسلم-: «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ» هو الراعي، وقد سمى الله الزوج سيدا في كتابه فقال: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾ [يوسف: ٢٥]، أي زوجها، فسماه ربنا تعالى سماه سيدا.

وقال -صلى الله عليه وسلم-: «كُلُّ بَنِي آدَمَ سَيِّدٌ»، فالرجل سيد في أهل بيته، فليس لها أن تخرج إلا بإذنه، والإذن سهل، تستطيع أن تتصل مثلا الآن

به وتقول أنا أريد أن أذهب إلى البيت، قد يقول لا الوضع غير مناسب، تذهبي البيت الآن الصبيان هؤلاء من سيبقى عندهم انتظرني حتى آتي، يلزمها، وليس لها أن تخرج، حتى لو قالت أريد الذهاب إلى والدي، أو أريد زيارة مريض أو نحوه، قطعا حال الضرورة وضع آخر، بعض الناس يورد يقول في حال الضرورة، في حال الضرورة يقال للمرأة ابقي في البيت حتى تتضرري بحريق أو نحوه، ما يقول هذا إنسان عاقل، لكن المقصود في الأحوال العادية، أنها ليس لها أن تخرج من البيت إلا بإذن زوجها، لهذا قال -صلى الله عليه وسلم-: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ أَنْ يُصَلِّينَ» لأن الأصل أنها تستأذن، فتستأذنك تقول: أريد الذهاب إلى المسجد، هنا قال: لا تمنعها، لا شك أن المقصود ألا يمنعها في الأوضاع العادية، أما إذا رأى الزوج أن الحي مثلا من حوله فيه أهل فسق وفجور قد يتعرضون للمرأة ولا سيما في الليل، فإنه يمنعها، أو يذهب معها ويقول: إن كنت موجودا ذهبت بك إلى المسجد ورجعت معي، أما إن كنت غير موجود فليس لك أن تخرجي، فلا تستدل علي بهذا الحديث، لأن هذا الحديث في الأحوال العادية، أما إذا وجدت حال ضرورة يمكن أن يتعرض للمرأة من قبل أهل الفسق والفجور، فتقول قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ»، ليس هذا هو

المقصود، إنما في الأحوال العادية أنه إذا كان الوضع على حال من الأمن والطمأنينة والبعد عن الريبة من المرأة أو بها، ففي هذه الحالة إذا استأذنته فليس له أن يمنعها، «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ أَنْ يُصَلِّينَ فِي الْمَسْجِدِ».

لما قال ابن عمر -رضي الله عنهما- لما حدث بهذا الحديث، قال ابن له هو بلال، أظن بلال، إنا لنمنعهن، وفي بعض الروايات قال: والله لمنعنهن، يتخذنه دغلا، فغضب ابن عمر -رضي الله عنهما- غضبا شديدا، قال أحدثك عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتقول إنا لمنعنهن يعني أنك قابلت حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- برأيك، وأظنه في بعض الروايات دعا عليه وسبه سبا، يقول الراوي: لم أسمع ابن عمر سب مثله، من شدة غضبه على ابنه حين قال هذا، وهذا يدل على التغليظ على من رد حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولو بادعاء أن عنده غيرة وأنه يخاف على المرأة ونحوه، لا يجوز مثل هذا، إن كنت تخاف على المرأة اذهب بها، أو يذهب بها ابنك، لكن لا تقل: نمعنها، والنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: لا تمنعها، فلا يحل أن يقابل حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بمثل هذا.

ومثله حديث عبد الله بن مغفل -رضي الله عنه- أنه كان جالسا إلى جنبه ابن أخ له، فخذف، الخذف أن تأخذ مثلا حصاة أو نواة وتجعلها بين السبابة من اليد اليمنى واليسرى وترمي هكذا، تضعها على طرف وترمي بها هكذا، فلما فعل هذا نهاه ابن مغفل وقال إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نهى عنها، قال: «إِنَّها لَا تَصِيدُ صَيْدًا» لا يمكن أن تصيد بمثل هذه الحصاة، لا يمكن أن تصيد بها صيدا، «وَلَا تَنْكِي عَدُوًّا» يعني لا يمكن أن توجد في العدو نكاية، النكاية في العدو تكون بإكثار القتل والجرح، لو أرسلت هذا على عدو تقاتله ما نفعت، ماذا تفعل؟ تكسر السن وتفقأ العين؛ لأنها لا يمكن أن يحسن الإنسان توجيهها، فربما ضربت إنسانا في عينه ففقأتها، أو ضربت سنه فكسرته، فالخذف هذا منهي عنه، ابن أخيه هذا عاد يخذف بعد أن حدثه بهذا الحديث، فقال عبد الله -رضي الله عنه-: أحدثك أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نهى عنها ثم عدت تخذف، لا أكلمك أبدا، وفيه هجر المبتدع والعاصي، قال: لا أكلمك مطلقا، هذا عمه، قال بهذه الطريقة أنا لن أكلمك، يعني حتى تحدث توبة مما صنعت وإلا فسأقاطعك لا أكلمك.

الحديث الذي بعده حديث عبادة ابن الصامت -رضي الله عنه- وأحد النقباء، وهو المراد بقوله النقيب، أحد نقباء ليلة العقبة -رضي الله عنه- من

النقباء الذين جعلهم النبي -صلى الله عليه وسلم- على الأنصار، كان مع معاوية -رضي الله عنه- بأرض الروم، في جهاد في سبيل الله، غزوا فحصل غنيمة، فصار الناس يتبايعون كسر الذهب بالدنانير، وكسر الفضة بالدراهم، وهذا لا يجوز، أولا: الدينار ما المقصود به؟ المقصود بالدينار عملة تكون من الذهب، والدرهم عملة من الفضة، إذا أريد صرف الدراهم بالدينار لا بأس، الدينار يعادل عشرة دراهم أو اثني عشر درهما، فيجوز الصرف أن يكون يدا بيد مباشرة تسلمه الدينار ويعطيك الدراهم في الحال، ولا يكون فيها تأخير.

أما لو أردت أن تبيع ذهبا قديما بذهب جديد، وقلت لصاحب المحل الذهب هذا عندي قديم من خمس سنوات، وقد وجد الآن نوع من جديد من الذهب، الذهب هذا عندي فيه كما ترى خمس خواتم وسلاسل ونحوها، أعطنيه بخاتم واحد من هذه الخواتم الجديدة، ما يجوز، لأنه يجب أن يكون مماثلة في الوزن، الأشياء الربوية هذه إذا كانت صنفا واحدا مثل الذهب بالذهب، يجب فيها شيئين: التماثل، بنفس الوزن، والتقابض في مجلس العقد.

إذا اختلفت مثل ذهب بفضة يجوز عدم التماثل بشرط التقابض في المحل نفسه، وهذا ينبه عند الكلام عليه على مسألة تقع عند بعض من يشترون الذهب، قد تأتي إلى صاحب الذهب فتشتري منه مثلا خاتما بألف ريال، فلا تجد معك إلا تسعمائة ريال، فتقول هذه تسعمائة وغدا أعطيك المائة، ما يجوز، لا يحل هذا، لابد أن يكون التقابض يدا بيد في الحال، فقل أبق الخاتم عندك لغد، وآتي بالمائة وأعطيك إياها تسلمني يدا بيد، أما تعطيه بعضا ويأتي بقية المال فيما بعد فهذا لا يجوز، وهو ضرب من ضروب الربا.

فالذي حصل في هذه الغزوة أن الناس صاروا يتبايعون كسر الذهب، كسر الذهب بالدنانير، الدينار قلنا من الذهب، معناه أنه ما صار فيه التماثل، لابد أن يكون فيه تماثل، وصاروا يتبايعون كسر الفضة بالدراهم، الدرهم قلنا إنه من الفضة، معنى ذلك أنه ما صار فيه التماثل، فقال عبادة -رضي الله عنه-: يا أيها الناس إنكم تأكلون الربا، سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «لَا تَبْتَاعُوا الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ إِلَّا مِثْلًا بِمِثْلٍ» فلو أردت مثلا أن تشتري خاتما لزوجتك جديدا، وعندك ذهب قديم ماذا تفعل؟ بع الذهب القديم، فإذا قبضت النقود فاشتري به الذهب الجديد، أما أن تبيعه ذهبا قديما مثلا يصل وزنه إلى مائة جرام بخاتم جديد وزنه تسعون، فلا شك هذا

ربا ما يجوز، فلأجل ذلك إذا بيعت كسر الذهب بالدينار فمعنى أنه لم يحدث التماثل.

بم تباع كسر الذهب؟ بفضة، ما فيه مانع أن يكون فيه عدم تماثل، أما أن تبيع كسر الذهب بدينار، والدينار من ذهب، أو تبيع كسر الفضة بدرهم، والدرهم من فضة، معناه أنه ما حصل التماثل، لهذا قال: إنكم تأكلون الربا، سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «لَا تَبْتَاعُوا الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ إِلَّا مِثْلًا بِمِثْلٍ، لَا زِيَادَةَ بَيْنَهُمَا وَلَا نَظِرَةَ»، ولا نظرة أي ولا تأخير.

معاوية -رضي الله عنه- اجتهادا منه قال: يا أبا الوليد لا أرى الربا في هذا، إلا ما كان من نظرة، يقول لا أرى أن الربا يقع إلا في التأخير، أما هؤلاء فيتبايعون الكسر من الذهب بالدينار مباشرة، فقال أحدثك عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وتحدثني عن رأيك، لئن أخرجني الله، يعني رجعنا بعد الغزوة هذه، لا أساكنك بأرض لك علي فيها أمرة، لأنه أمير والأمير من قبل عمر -رضي الله عنه-.

لما رجع من الغزو، لحق بالمدينة، قال له عمر: ما أقدمك يا أبا الوليد، فأخبره بالخبر، وما قال: من أنه حلف ألا يسكن بأرض لمعاوية عليه فيها إمارة، قال: ارجع فقبح الله أرضا لست فيها وأمثالك، الله أكبر، قبح الله أرضا

لست فيها وأمثالك من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، إذا خرجت أنت وأمثالك ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقبح أرضا تخرجون منها، ماذا يحدث إذا خرج من الأرض الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر، المبين للحق، تكون أرضا قبيحة، قال: ارجع، وكتب إلى معاوية لا إمرة لك عليه، يعني عبادة رضي الله تعالى عنه وأرضاه لا يدخل تحت ولايتك، ولا تأمره بأي أمر، لأن عبادة رجل كبير جدا من فقهاء الصحابة، وقديم الإسلام رضي الله تعالى عنه، يقال أنه أسلم ليلة العقبة قبل أن يهاجر النبي -صلى الله عليه وسلم-، فاستعظم عمر أن يخرج مثل هذا الخير، قال: واحمل الناس على ما قال، يقول: ألزم الناس عندك بالذي قاله لك، فإنه هو الأمر، الأمر الصحيح الحق، أنه لا يجوز التبايع على هذا النحو المذكور، فأسقط عنه عبادة إمرة معاوية، وقال: قبح الله أرضا لا تكون فيها أنت وأمثالك، يعني من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وهذا يدل على أن الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بمثابة الغيث والمطر في الأمة؛ إذ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فإذا لم يرق لهم الحال وخرجوا من الأرض، قبحت الأرض وساءت، ولأجل ذلك أرجعه عمر وألزم معاوية ألا يأمره بأمر نهائيا، قال: لست عليه أميرا نهائيا، إمرته مباشرة مع أمير المؤمنين، أما

أنت فلا تأمره ولا تنهاه، فيه الكفاية والسداد لا يحتاج أن يجعل عليه إمارة من قبلك لأنه في المقام الذي لن يعارض ولن يقع ما يسوء، بل وقع ما هو على الحق، وأخطأت فيه أنت يا معاوية، قلنا أن معاوية -رضي الله عنه- وأرضاه إنما ظن هذا ظنا، ولم يتعمد مخالفة حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، لكن ظن أن الربا لا يكون إلا في التأخير، أما إذا كانوا يتبايعون في الحال فإنه لا حرج في ذلك، وهذا صواب لو أن الجنسين غير متماثلين، مثل ما قلنا، لو أنه ذهب بفضة لا بأس، المهم ألا تحصل نظرة، يعني لا يؤخر، مباشرة يد بيد.

فأما إذا كانا من جنسين فلا يحل ... بالطريق الذي ذكره معاوية لا يجوز فيه النظرة ولا يجوز فيه التفاوت، وهذا الذي عرفه عبادة -رضي الله عنه-، وأنه يدل على الصحابة يتفاوتون في العلم، فعبادة أعلم من معاوية رضي الله عن الجميع.

حديث ابن مسعود ومثله حديث علي -رضي الله عنه- إذا حدثتكم عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فظنوا برسول -صلى الله عليه وسلم- الذي هو أهناه وأهداه وأتقاه، أهناه أي أطيبه، وأهناه من الهناء، كما أن الطعام إذا ساغ يكون هنيئا، فكذلك ظنوا بحديث رسول الله -صلى الله عليه

وسلم- الذي هو أهنا، والذي هو أهدى، يعني أهدى للصواب، فيحمل حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على أحسن المحامل، وذلك حمل معناه على ما دلت عليه النصوص، ولا يحمل حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على معنى قبيح، لا يليق بالنبي -صلى الله عليه وسلم-، ولأجل ذلك لا يتحدث في معاني حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا أهل العلم، لأن العامي قد يظن بحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- معنى سيئا غير مناسب غير لائق، فيجعل أمر معنى الحديث والمراد به يجعل لأهل العلم الذين يعرفون المعنى السليم اللائق برسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ قد يفهم بعض الناس من أحاديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فهما خاطئا، بل بعض العامة قد يقرأ الحديث قراءة خاطئة، ثم يظن ظنا خاطئا برسول الله -صلى الله عليه وسلم- بقراءته الخاطئة للحديث، فلهذا لا يظن بحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا الحسن، ويرد ذلك إلى أهل العلم.

الحديث الذي بعده فيه المقبري، حدثنا علي بن المنذر قال: حدثنا محمد بن الفضيل قال: ثنا المقبري عن جده عن أبي هريرة، ينبغي أن يعرف طالب العلم أن هذا الاسم المقبري يطلق على ثلاثة، كثيرا ما تسمع عن

المقبري عن أبي هريرة، عن المقبري عن أبيه عن أبي هريرة، الموجود عندك في السند هنا، هو الحفيد، حفيد المقبري، لهذا نوضح إن شاء الله تعالى المقبريين هؤلاء، لأن المقبري هذا الذي عندك هنا في الحديث هو الحفيد، وهو متروك، فحديثه من قبيل الحديث الضعيف، أما أبو سعيد المقبري فهو ثقة ثبت، مات عام مائة رحمه الله، ابنه سعيد ابن أبي سعيد ثقة، تغير قبل موته أي تغير حفظه، مات في حدود العشرين ومائة، فالمقبريان الأب والجد ثقتان، أما الحفيد هذا فهو متروك، فلما قال: المقبري، يعني قد يختلط هذا بأبيه أو بجده، الموجود عندك هنا هو الحفيد، وهو متروك الحديث، وذكر فيه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «لَا أَعْرِفَنَّ مَا يُحَدَّثُ أَحَدُكُمْ عَنِّي الْحَدِيثَ وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ فَيَقُولُ: اقْرَأْ قُرْآنًا مَا قِيلَ مِنْ قَوْلٍ حَسَنٍ فَأَنَا قُلْتُهُ»، هذه اللفظة من رواية المقبري الضعيف هذا، وإلا تقدمت الروايات الصحيحة في أن النبي عليه الصلاة والسلام أخبر أن هذا الرجل متكئ على أريكته يقول ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه، وما لم نجد تركناه أو نحوه، فأول الحديث له ما يشهد له، لكن عبارة ما قيل من قيل من قول حسن فأنا قلته هذه وجدت في لفظ الحديث الذي فيه المقبري الضعيف.

الحديث الذي بعده أن أبا هريرة قال لرجل: يا ابن أخي إذا حدثتك عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حديثًا فلا تضرب له الأمثال، لا تضرب له الأمثال، يعني لا تعارض الحديث النبوي بالأمثال، ومراده أن عليك أن تعظم الحديث وألا تعترض عليه، لأن أبا هريرة -رضي الله عنه- في بعض الروايات حدث بحديث النبي -صلى الله عليه وسلم- في أمر القائم من نوم ألا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثا، فأورد عليه أحدهم ما يتعلق بالإناء الكبير الذي يحوي ماء كثيرا، فقال إذا حدثتك عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حديثا فلا تضرب له الأمثال، لا تعارض حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- بمثل هذا الكلام، لا تغمس يدك .. المعنى: لا تغمس يدك لا في مثل هذا الإناء الكبير ولا الصغير، والمشروع لمن قام من الليل إذا أراد أن يتوضأ من إناء بل يلزمه ذلك إذا أراد أن يتوضأ من نفس الإناء فإنه لا يدخل يده قال -صلى الله عليه وسلم-: «فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ»، وإنما يميل الإناء إمالة في يده فيغسل اليدين، ثم ثانية ثم ثالثة، ثم يغسل يده لأنه لا يدري أين باتت يده، كما قال -صلى الله عليه وسلم-؛ إذ النائم قد يدخل يده ويمس عورته وربما كان الموضع مبلولا أو نحوه بشيء من الرائحة السيئة فبعد ذلك يدخل يده في الإناء وهو لا يشعر، لذلك ربط -

صلى الله عليه وسلم- هذا بالنوم، لأن الإنسان وهو مستيقظ ما يفعل هذا، لكن وهو نائم لا يدري، يقول: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ»، فلما أورد عليه هذا الإيراد، قال: لا تضرب لحديث النبي -صلى الله عليه وسلم- الأمثال، لا تورد هذه الإيرادات، وهذا يدلك على أن معارضة أحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم- بمثل هذا لا تجوز، فلما بالك بما عورضت به النصوص النبوية من قبل أهل البدع والضلالات، والمتهوكين من المتأخرين، والله المستعان.

{أحسن الله إليكم.

قال -رحمه الله تعالى-:

باب التوقي في الحديث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قال: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ عَنْ ابْنِ عَوْنٍ قال: حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ الْبَطِينُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ: مَا أَخْطَأَنِي ابْنُ مَسْعُودٍ عَشِيَّةَ خَمِيسٍ إِلَّا أَتَيْتُهُ فِيهِ، قَالَ فَمَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ بِشَيْءٍ قَطُّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ عَشِيَّةٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: فَنَكَسَ، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ فَهُوَ قَائِمٌ مُحَلِّلَةً

أَزْرَارُ قَمِيصِهِ قَدْ اغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، قَالَ: أَوْ دُونَ ذَلِكَ أَوْ فَوْقَ ذَلِكَ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ أَوْ شَبِيهًا بِذَلِكَ.

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قال: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ عَنْ ابْنِ عَوْنٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: كَانَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ -رضي الله عنه- إِذَا حَدَّثَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا فَفَرَغَ مِنْهُ قَالَ: أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-.

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قال: حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ عَنْ شُعْبَةَ ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: قُلْنَا لِزَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ حَدِّثْنَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: كَبِرْنَا وَنَسِينَا وَالْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَدِيدٌ.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ قال: حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي السَّفَرِ قَالَ: سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ يَقُولُ: جَالَسْتُ ابْنَ عُمَرَ سَنَةً فَمَا سَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا.

حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْعَنْبَرِيُّ قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قال: أَنْبَأَنَا مَعْمَرٌ عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما-

يَقُولُ: إِنَّمَا كُنَّا نَحْفَظُ الْحَدِيثَ وَالْحَدِيثُ يُحْفَظُ عَنْ رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-، فَأَمَّا إِذَا رَكِبْتُمْ الصَّعْبَ وَالذَّلُولَ فَهَيْهَاتَ.

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدَةَ قال: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ مُجَالِدٍ عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ قَرَظَةَ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: بَعَثَنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ -رضي الله عنه- إِلَى الْكُوفَةِ وَشَيَّعَنَا فَمَشَى مَعَنَا إِلَى مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ صِرَارٌ فَقَالَ: أَتَدْرُونَ لِمَ مَشَيْتُ مَعَكُمْ قَالَ: قُلْنَا لِحَقِّ صُحْبَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِحَقِّ الْأَنْصَارِ قَالَ: لَكِنِّي مَشَيْتُ مَعَكُمْ لِحَدِيثٍ أَرَدْتُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ بِهِ وَأَرَدْتُ أَنْ تَحْفَظُوهُ لِمَمْشَايَ مَعَكُمْ: إِنَّكُمْ تَقْدَمُونَ عَلَى قَوْمٍ لِلْقُرْآنِ فِي صُدُورِهِمْ هَزِيزٌ كَهَزِيزِ الْمِرْجَلِ فَإِذَا رَأَوْكُمْ مَدُّوا إِلَيْكُمْ أَعْنَاقَهُمْ وَقَالُوا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ فَأَقِلُّوا الرِّوَايَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا شَرِيكُكُمْ.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ قال: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ صَحِبْتُ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ مِنْ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ فَمَا سَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَدِيثٍ وَاحِدٍ}.

هذا الباب في التوقي في الحديث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، أي الاحتراز عند رواية الحديث حتى لا يخطئ عند روايته، أورد فيه قول

عمرو بن ميمون -رحمه الله تعالى-: مَا أَخْطَأَنِي ابْنُ مَسْعُودٍ عَشِيَّةَ خَمِيسٍ إِلَّا أَتَيْتُهُ فِيهِ، أي أنه لا يفوته أن يلاقي ابن مسعود كل عشية خمس، يقول: ما سَمِعْتُهُ يَقُولُ بِشَيْءٍ قَطُّ قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-، كان ابن مسعود -رضي الله عنه- كثير التحرز، كان كثير التحرز من رواية الحديث النبوي، يخشى أن يخطئ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ عَشِيَّةٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ قَالَ -صلى الله عليه وسلم-، قلما قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، نكس أي نكس رأيه، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ فَهُوَ قَائِمٌ مُحَلَّلَةً أَزْرَارُه، يعني قد فك أزرار قميصه، قَدْ اغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ اغرورقت أي كأنهما غرقتا من الدموع، وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، وهما العرقان في العنق، لماذا كل هذا: لأنه قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وخشي ألا يأتي بلفظ النبي -صلى الله عليه وسلم- مطابقا لنفس الكلمات التي قالها -صلى الله عليه وسلم-، فإن الراوي مثلا قد يروي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: اقعد، فيقول: اجلس مثلا أو نحو ذلك، فخشي ألا يأتي بنفس لفظ النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهذا من دلائل ما عندهم من تعظيم حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، من جهة، والاحتياط البالغ في أحاديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى لا يخطئوا، فقَالَ: أَوْ دُونَ ذَلِكَ، يعني هذا الذي قلت قال رسول الله -

صلى الله عليه وسلم- كذا وكذا، قد يكون دون ما قلته، أَوْ فَوْقَه قد يكون أكثر مما قلته، أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ أَوْ شَبِيهًا بِذَلِكَ، كل هذا من التحرز والتوقي في لفظ حديث -صلى الله عليه وسلم-.

ومنه حديث أنس -رضي الله عنه-، إِذَا حَدَّثَ عَنْ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفَرَغَ مِنْهُ قَالَ: أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-، يعني إذا قلت قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: أنا أقول قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو كما قال، المطابقة قد لا تكون تامة لكن لا شك أنهم فصحاء -رضي الله عنهم- وعلماء إذا عبروا عن حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عبروا عنه حديث بغير نفس لفظه، عبروا تعبير العالم العارف، لكنهم من باب التوقي حتى لا يقولوا قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في هذا المقام كذا، وهو لم يقله، وإنما قال لفظا مثله، مثل ما ذكرنا في جلس بدل قعد، ونحو ذلك، من هذه الأشياء اليسيرة، كل هذا من دلائل توقيهم في حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-.

الحديث الذي بعده: أن ابن أبي ليلى طلب هو وأصحابه من زيد بن أرقم -رضي الله عنه- أن يحدثهم عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقال: كَبِرْنَا وَنَسِينَا وَالْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَدِيدٌ، يعني أخشى أن

أخطئ والأمر شديد لو أني أخطأت وقلت قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكان عندي وهم أو نسيان يترتب عليه ما لا ينبغي أن أقوله، لذلك قال الحديث شديد عن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

في الخبر الذي بعده أن الشعبي يقول جلس ابن عمر سنة فما سمعته يحدث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شيئا، يعني أنه كان يقل الرواية عن النبي -صلى الله عليه وسلم- مع أن ابن عمر -رضي الله عنهما- من المكثرين من الصحابة، لكن معناه أنه ما كان في كل مجلس يحدث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قد يفتي قد يعظ، في بعض الأحيان ينقل حديثا عن النبي -صلى الله عليه وسلم- لكن الشعبي يقول ما وافقته هذه المدة الطويلة حدث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

الخبر الذي بعده إنا كُنَّا نَحْفَظُ الْحَدِيثَ هذا من كلام ابن عباس -رضي الله عنهما- وَالْحَدِيثُ يُحْفَظُ عَنْ رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-، فَأَمَّا إِذَا رَكِبْتُمْ الصَّعْبَ وَالذَّلُولَ فَهَيْهَاتَ، الحديث الحقيقة فيه اختصار، يوضحه لفظ صحيح مسلم لما جاء بشير فجعل يحدث ابن عباس، فقال ابن عباس: عد لحديث كذا فعاد، ثم حدثه فقال عد لحديث كذا فعاد، فسأله بشير عن سبب طلبه فقال: ما الذي يجعلك كل مرة تقول عد كأنك تختبرني، قال: كنا

نحدث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ لم يكن يكذب عليه، فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه، يعني من باب الاحتياط، وإلا لا شك أن يخبرون بالأحاديث، لكن لما جاء مثل الشيعة وكذبوا على علي -رضي الله عنه- وصاروا يضعون أحاديث مكذوبة، رأى ابن عباس أهمية الاحتراز والتدقيق فيما يحدث به عن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

ومراده التثبت في الرواية، فلا يروى عن أي أحد، وقوله الصعب والذلول، أصل الصعب والذلول في الإبل، منها ما يكون صعبا عسرا لا يسهل انقياده، ومنها ما يكون سهلا.

الخبر الذي بعده خبر قَرَظَةَ بْنِ كَعْبٍ بعثهم عمر -رضي الله عنه- بعث هؤلاء الصحابة إلى الكوفة فقهاء ومفتين ومعلمين، وشيعهم مشى معهم إلى موضع يقال له صرار، فسألهم قال: أَتَدْرُونَ لِمَ مَشَيْتُ مَعَكُمْ قالوا: لِحَقِّ صُحْبَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِحَقِّ الْأَنْصَارِ، من الأنصار وأصحاب رسول الله، قَالَ: لَكِنِّي مَشَيْتُ مَعَكُمْ لِحَدِيثٍ أَرَدْتُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ بِهِ فَأَرَدْتُ أَنْ تَحْفَظُوهُ لِمَمْشَايَ مَعَكُمْ، يعني تتذكروا ما سأقول لكم.

إِنَّكُمْ تَقْدَمُونَ عَلَى قَوْمٍ لِلْقُرْآنِ فِي صُدُورِهِمْ هَزِيزٌ كَهَزِيزِ الْمِرْجَلِ، الهزيز هو صوت غليان القدر، فَإِذَا رَأَوْكُمْ -يعني الناس- مَدُّوا إِلَيْكُمْ أَعْنَاقَهُمْ

وَقَالُوا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ فَأَقِلُّوا الرِّوَايَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا شَرِيكُكُمْ، قوله أقلوا الرواية أي لئلا يشتغلوا عن قراءة القرآن لأنهم يقدمون على قوم ينبغي أن يعلموا القرآن أولا، وأن يضبطوا قراءته، يقول: لا تشغلوهم بالأحاديث أنتم الآن ركزوا على تعليمهم القرآن، هذا الحديث رواه الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن في سننه -رحمه الله- وقال: معناه عندي الحديث عن أيام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ليس السنن والفرائض، يقول يحمل كلام عمر هذا على الحديث لا على الأحكام والفرائض لأنهم لا بد أن يعلموا بسنة النبي -صلى الله عليه وسلم- والأحكام المرتبطة بها، لكن يقول قللوا الكلام الوارد في سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- ومغازيه ونحو ذلك، حتى لا يشتغلوا بها عن القرآن، أما النصوص النبوية في السنن وفي الفرائض فهذه لا بد من إبلاغها.

والأخير حديث السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ أنه صحب سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ -يعني سعد بن أبي وقاص- مِنْ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ قال: فَمَا سَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَدِيثٍ وَاحِدٍ، يعني من باب الاحتياط والمسيرة من المدينة إلى مكة تسع ليال، يعني أنه ما حدثه في هذه بحديث.

{بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم اغفر لنا ولشيخنا ولوالديه ولوالدينا وللحاضرين والمستمعين يا رب العالمين.

قال الإمام رحمه الله تعالى:

**بَاب التَّغْلِيظِ فِي تَعَمُّدِ الْكَذِبِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَسُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ زُرَارَةَ وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ مُوسَى قَالُوا: حَدَّثَنَا شَرِيكٌ عَنْ سِمَاكٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ زُرَارَةَ وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ مُوسَى قَالَا: حَدَّثَنَا شَرِيكٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَكْذِبُوا عَلَيَّ فَإِنَّ الْكَذِبَ عَلَيَّ يُولِجُ النَّارَ».

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ الْمِصْرِيُّ قال: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ -حَسِبْتُهُ قَالَ- مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قال: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَقَوَّلَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قال: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَعْلَى التَّيْمِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ مَعْبَدِ بْنِ كَعْبٍ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عَلَى هَذَا الْمِنْبَرِ: «إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَدِيثِ عَنِّي، فَمَنْ قَالَ عَلَيَّ فَلْيَقُلْ حَقًّا أَوْ صِدْقًا، وَمَنْ تَقَوَّلَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قال: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ أَبِي صَخْرَةَ عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ لِلزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ: مَا لِيَ لَا أَسْمَعُكَ تُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا أَسْمَعُ ابْنَ مَسْعُودٍ وَفُلَانًا وَفُلَانًا، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أُفَارِقْهُ مُنْذُ أَسْلَمْتُ وَلَكِنِّي سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً يَقُولُ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ قال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنْ مُطَرِّفٍ عَنْ عَطِيَّةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

## بَاب مَنْ حَدَّثَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ هَاشِمٍ عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى عَنِ الْحَكَمِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ عَلِيٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ حَدَّثَ عَنِّي حَدِيثًا وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبَيْنِ».

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قال: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنِ الْحَكَمِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ حَدَّثَ عَنِّي حَدِيثًا وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبَيْنِ».

حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنِ الْحَكَمِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ عَلِيٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ رَوَى عَنِّي حَدِيثًا وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبَيْنِ»، حَدَّثَنَا

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ قال: أَنْبَأَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى الْأَشْيَبُ عَنْ شُعْبَةَ مِثْلَ حَدِيثِ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ.

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قال: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ عَنْ مَيْمُونِ بْنِ أَبِي شَبِيبٍ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبَيْنِ»}.

هذان البابان يتعلقان بمن تعمد الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم، أو الباب الأول فيمن تعمد، الثاني يتعلق بمن حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا يظنه أو يعلم أنه مكذوب، تأمل مثل ما قلت حسن تدرج ابن ماجة رحمه الله تعالى في عرض الأحاديث، بعد أن ذكر ما يتعلق باتباع النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيم حديثه، وذكر ما يتعلق بالتغليظ على من رد النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر التوقي في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، دخل في أمر من تعمد أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الباب الأول، وهو الذي قصد أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين قصدوا الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم تارة يكونون من الزنادقة، يريدون الإساءة لدينه عليه الصلاة والسلام.

وتارة يكونون من جهلة العباد، إذن وجد عباد جهال أرادوا أن يضعوا فضائل لبعض الأعمال أو لبعض سور القرآن، وزعموا أنهم بذلك يجلبون الناس للإقبال على كتاب الله وعلى الأعمال الصالحة، إلى غير ذلك مما قد يكون من أسباب وضع الحديث.

هؤلاء وردت فيهم الأحاديث العظيمة سواء أكانوا من الزنادقة أو كانوا من هؤلاء الجهلة ممن كانوا الصوفية، كانوا يكذبون، بعضهم يقول نحن لا نكذب عليه ولكن نكذب له، انظر الجهل عياذا بالله كيف يفعل بأصحابه، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ»، أنا ما كذبت عليه أنا كذبت له، كذبت لأجلب الناس لحديثه أو للإقبال على القرآن، وهذا ما يفعله الجهل عياذا بالله، لكن يظل من وقع في هذا يظل مرتديا عياذا بالله رداء الكذب.

الأحاديث في هذا متواترة نقلها جم كبير من الصحابة، أورد ابن ماجة رحمه الله تعالى هذا العدد منهم، في الحديث الأول: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا» المتعمد المتقصد «فَلْيَتَبَوَّأْ» عياذًا بالله «مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» أي يتخذ منزلا منها، وفيه دلالة على أن الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم موصل إلى النار، بل اختار بعض أهل العلم كأبي محمد الجويني، أبو محمد

الجويني غير ابنه أبي المعالي، أبو محمد رحمه الله: كان يختار أن من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فإنه يكفر، أبو محمد الجويني من كبار الشافعية المتأخرين، وكان يقول الذي يتعمد أن يكذب على النبي صلى الله عليه وسلم يضيف إلى دينه شيئا، يقول: هذا ارتد، وقال بهذا بعض أهل العلم، وإن كان الصحيح أنه في نفسه قد لا يكون كفرا، لكن قد يكون الكاذب ساذجا غبيا من هؤلاء الجهال يظن أنه سيقبل بقلوب الناس على هذا، مثل ما ذكروا عن نوح الجامع أنه قال: رأيت الناس أقبلوا على فقه أبي حنيفة ومغازي ابن إسحاق، وانشغلوا عن القرآن، فوضع مائة وأربعة عشر حديثا في سور القرآن، كل سورة وضع لها فضيلة، يقول: حتى يتركوا الإقبال على فقه أبي حنيفة وعلى مغازي ابن إسحاق ويتركون القرآن، هذا قطعا من الجهالات، لعله إن شاء الله لا يصل إلى حد الردة لمن كان جاهلا ساذجا، أما الزنديق فالزنديق من أصله أصلا خارج الملة.

على كل هذا من موصلات النار عياذا بالله، هذا حديث ابن مسعود، وهكذا حديث علي عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا تَكْذِبُوا عَلَيَّ فَإِنَّ الْكَذِبَ عَلَيَّ يُولِجُ» أي يدخل «النَّارَ» عياذا بالله.

حديث أنس «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ» قال: حسبته قال: «مُتَعَمِّدًا» متعمدا هذا فيه قيد، يعني يكون متقصدا الكذب، «فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» وهكذا حديث جابر رضي الله عنه حديث أبي هريرة «مَنْ تَقَوَّلَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»، كلها دالة على هذا.

في حديث أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَدِيثِ عَنِّي» حذرهم من الإكثار للأحاديث حتى لا يقعوا في الزلل والخطأ، «فَمَنْ قَالَ عَلَيَّ فَلْيَقُلْ حَقًّا أَوْ صِدْقًا» إذا أراد أحد أن ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فليقل الحق وليحدث بالصدق، «وَمَنْ تَقَوَّلَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ» أي كذب وافترى «فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»، ولهذا الزبير رضي الله عنه مع قِدَمِ إسلامه سأله ابنه عبد الله ما لي لا أسمعك تحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم كما أسمع ابن مسعود وفلانا وفلانا، يعني من الصحابة الذين كانوا يروون حديث النبي صلى الله عليه وسلم، فكان عنده تخوف فقال: أما إني لم أفارقه منذ أسلمت ولكني سمعت منه كلمة يقول: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»، يعني كان يخاف أن يخطئ، وإلا يعلم من نفسه ومن أمثاله رضي الله عنهم أنهم لا يكذبوا، لكن خشي أن يزل لأنه يمكن أن يخطئ فينقل الناس هذا عنه، ويكون خللا وخطئا فيكون

من باب الكذب، والكذب الذي يذكر في الحديث هنا المراد به الكذب الذي هو ضد الصدق، وقد يطلق الكذب على الخطأ، وهي لغة أهل الحجاز، فقد يقولون لمن أخطأ في مسألة من المسائل كذبت، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كَذَبَ أَبُو السَّنَابِكِ»، لا يقصد أنه كذب وافترى، لكنه لما أفتى المرأة بأن تعتد بأبعد الأجلين قال صلى الله عليه وسلم: «كَذَبَ أَبُو السَّنَابِكِ» يعني أخطأ، لكن مقصودنا في الحديث من تعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو على خلاف الصدق، ولهذا كان بعضهم يتحوط، وتقدم أن ابن مسعود رضي الله عنه يقل أن يحدث مع أنه ذكر هنا أنه يحدث، وقطعا يحدث بعض الأحيان، فعنده شيء من التهيب من الخطأ، ولهذا لما حدث مرة كما قلنا اغرورقت عيناه، قال: أو قريبا من هذا أو نحو هذا.

حديث أبي سعيد أيضًا نفس الوضع «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

الباب الذي بعده من حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو يُرى أنه كذب، قوله: وهو يُرى، يُرى هنا بمعني يظن، وجاءت بمعنى يرى بمعنى يعلم، أن تقول: أرى أن الصواب في هذه المسألة كذا، يعني أظن، إذا قلت

أرى أن الصواب في هذه المسألة، فإنك تجزم، ولهذا ورد الحديث بالصيغتين، فجاء عن علي رضي الله عنه: «مَنْ حَدَّثَ عَنِّي حَدِيثًا وَهُوَ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبَيْنِ»، وهذا شديد، معناه أنه لو ظن أنه كذب، لو ظن أنه كذب يدخل في الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو أحد الكاذبين، الكاذب الأول الذي كذب وافترى، وهذا الذي يظن أن هذا حديث مكذوب ومع ذلك حدث بهذا الحديث المكذوب، فإنه يدخل في الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هذا الباب ما فرقه عن الباب الذي قبله، هذا الباب فيمن حديثا يعرف أنه موضوع، يجزم أنه موضوع، أو يغلب على ظنه أنه موضوع، فإذا لم يبين حاله دخل في جملة الكاذبين على النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا لا شك يدل على خطر نشر الأحاديث الموضوعة في الأمة، وقد نشرها عدد من الجهال وامتلأت للأسف الكتب بأحاديث موضوعة، ومنها للأسف كتب بعض كتب العلم التي فيها أحكام، لكن المصنف ليس من أهل الحديث، ولهذا تجد في كتب أصول الفقه مثلا وفي كتب الفقه وفي كتب التفسير أحاديث كثيرة موضوعة، حتى إن حديث نوح الجامع الذي ذكرناه ذكره بعض المفسرين ممن يجهلون أن نوحا الجامع هذا كاذب، والمحدثون

يعلمون أنه كاذب، فلو ترى مثلا في تفسير البيضاوي وأمثاله من المتكلمين الذين لا يحيطون بالأحاديث، تجد أن يوردون مثل هذه الأحاديث الموضوعة، فانتشرت هذه الأحاديث الموضوعة، قطعا هؤلاء الذين نشروها لا يتعمدون الكذب، لكنهم لا يميزون الحديث الصحيح من الضعيف، إذا كنت لا تميز الحديث الصحيح من الضعيف، ما الحل؟ اسأل، اسأل من يعرف الحديث الصحيح من الضعيف، ولا تنشره، ولهذا أبو حامد الغزالي في كتابه المسمى بإحياء علوم الدين، نشر أحاديث كثيرة جدا موضوعة، وكان يقول عن نفسه: (أنا مزجى البضاعة في الحديث)، يعني ضعيف البضاعة في الحديث، الشيخ ؟؟ هو ضعيف البضاعة في الحديث كيف ينشر أحاديث يكون فيها كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لهذا الأمر شديد الحقيقة، ولا سيما الأحاديث التي تذكر بدون سند، لما سنذكر الآن في ما يتعلق بالأحاديث التي يكون معها السند، إذا ذكر الحديث ولا سيما إذا قال صاحب الكتاب: وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، جزم جزما بأن هذا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالأمر شديد، وهكذا بعض الخطباء والوعاظ، وهكذا بعض من يخرجون مثلا في المحاضرات أو بعض من يصنفون الكتب، فينسبون إلى النبي صلى الله عليه

وسلم هذه الأحاديث، ولذا انتشرت أحاديث كثيرة جدا عن النبي صلى الله عليه وسلم باطلة، لا تصح عنه عليه الصلاة والسلام، مع أن في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم غنية عن الحديث الموضوع، لكن الذي لا يميز أحاديث البخاري من الأحاديث الموضوعة بضاعته مزجاة في هذا، الحقيقة أنه إذا صنف ولم يميز فإنه يضر ضررا بالغا، ولهذا امتلأت الحقيقة الكتب، وأكثر ما تنتشر كتب الحديث في صنفين من الكتب، ليست من كتب العلم.

الصنف الأول: كتب المتكلمين كالمعتزلة والأشعرية والماتريدية، تجد في كتبهم أحاديث موضوعة عجيبة جدا جدا، حتى إنها أحاديث موضوعة على خلاف الأحاديث الصحيحة، فينتشر مثلا في كتب المعتزلة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: شافعتي لا تنال أهل الكبائر من أمتي، هذا كذب موضوع على النبي صلى الله عليه وسلم، الحديث الصحيح، «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»، فكذب أحد المفترين هذا الحديث.

مثلا في كتب المرجئة تجد أن وفد ثقيف أتوا النبي صلى الله عليه وسلم وسألوه عن الإيمان يزيد أو ينقص، فقال: لا، الإيمان مكمل في القلوب، نقصه كفر، وزيادة كفر، عياذا بالله، هذا خلاف نص القرآن، ومع ذلك ينتشر

في كتب هؤلاء، هل هم يتعمدون الكذب، لا شك أن الذي وضع الحديث الأول كذاب، لكن يحدث أن هؤلاء لا يكونون من أهل العلم بالحديث، فيفترون.

الصنف الثاني من الكتب: كتب الصوفية، مثل كتاب الغزالي إحياء علوم الدين وغيره، تتعجب سبحان الله العظيم هذا الجهل العظيم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إن بعض المتصوفة المتأخرين من أمثال علوي الحداد وأحمد بن زين الدحلان وأضرابهم، كذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا في الشيخ محمد بن عبد الوهاب عياذا بالله، وافتروه افتراء، وقال علوي لما كذبه، قال: هذا الحديث لا يعرف من خرجه، أنت الذي كذبته، يقول غير معروف في الكتب، لا يعرف من خرجه، كيف لا يعرف من خرجه، الأحاديث الآن مضبوطة، تعرف الأحاديث مسندة، قال: لا يعرف من خرجه، ما وجد هذا الحديث، وهو حديث له شواهد، أين الشواهد، وافترى عياذا بالله حديثا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا يدلك على أن قولهم نحب رسول الله، تحب رسول الله صلى الله عليه وسلم تكذب عليه، ثم يقول كلام في غاية الوقاحة يخرج في قرن ثاني عشر رجل من بني حنيفة يلعق براطمه فيه قوباء، سبحان الله حتى تنال من

الشيخ محمد بن الوهاب تكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم تقول أنا أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أي محبة هذه؟

الحاصل أن الأمر خطير جدا، المتعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره شديد، وأهل العلم يتساءلون هل هو مرتد أو غير مرتد؟ المسألة كبيرة، أما كونه ساقط الشهادة باطل، قد أبطل وأنه يجب أن يؤدب الأدب البليغ، هذا محل اتفاق أهل العلم رحمهم الله تعالى.

فالحاصل أن هذا الباب الثاني ليس فيمن يتعمد الكذب ويختلقه، لكن هو يروي حديثا يعلم أنه مكذوب، مثلا للنكاية بأحد، أو لذكر فضائل لأحد، وهو يعلم أنه مكذوب، لا شك أن هذا خطير جدا، وأنه يكون أحد الكاذبين.

هنا إذا قيل من حدث حديثا وهو يُرى كما ورد في بعض رواياته، يعني يظن، وفي بعض الروايات: وهو يرى أي يعلم، فيه دلالة على وجوب التحوط، إذا كنت تظن أن الحديث موضوع لا تنقله.

يأتي كلام على الأحاديث الموضوعة التي وجدت في كتب المحدثين، فيأتي حديث موضوع في بعض كتب المحدثين، والمحدثون يحذرون من الأحاديث الموضوعة، يرى بعض المصنفين أنهم إذا ذكروا السند، فإنهم قد برأت عهدتهم، ويقولون: من أسند فقد برئت عهدته، ما معنى السند؟ يقول:

أقول لك حدثنا فلان عن فلان عن فلان، كما سيأتينا الآن عن محمد بن سعيد، يأتينا الآن، محمد بن سعيد كذاب، محمد بن سعيد المصلوب، صلب على الزندقة، زنديق، فتقول كيف تروى هذا يا إمام؟ يقول: رويته لك بالسند، ألا ترى فيه اسم محمد بن سعيد، فإذا قلت: أنا ما أعرف من هو محمد بن سعيد، قال: من قال أني ألفت الكتاب هذا لك، ألفته لأهل العلم، الذين يميزون الرواة، وأنا لن أجلس عند كل حديث أرويه وقد أروي لك ألفي سند، وأقول لكل حديث هذا صحيح، هذا حسن، هذا موضوع، يقول: لن أفعل هذا، لأني ألفت الكتاب ما ألفته لعامة المسلمين ألفته لأهل العلم، فإذا أردت أن أؤلف لعامة المسلمين ألفت مؤلفا صغيرا وأتيت فيه بالأحاديث الصحيحة، أما إذا أسندت الحديث وذكرت فيه الرواة، فأنت المسؤول لا أنا، هذا يراه بعض أهل العلم، لماذا؟ يقولون: من أسند فقد برئت عهدته، لأن المفترض أنت يا قارئ الأحاديث أن تميز الرواة الثقات من غير الثقات، فإذا كان في الرواة أحد وضاع كذاب، فأنت صاحب تمييز، وأنت طالب علم، اعرف الرواة، قد يطول علي وأنا سأروي كتابا من ألفي سند، أن أقف عند كل سند وأخبرك بحكمه، هذا قد أموت قبل أن أفرغ من الكتاب، فلهذا كانوا يرون أنهم إذا أسندوا فقد برئت عهدتهم.

ولهذا نبه الطبري رحمه الله تعالى في كتابه في التاريخ، قال: إن قارئ كتابنا هذا إن رأى خبرا استشنعه فليعلم أنه لم يؤت من قبلنا وإنما أوتي من قبل بعض من روينا عنه، فأديناه كما أدى، يعني أني سأنقل أسانيد كثيرة منها الصحيح ومنها الضعيف ومنها المكذوب، يقول أنا أنقل كما حدثت، أنت يا قارئ الكتاب تفطن، وهذا السبب في أن بعض أهل العلم، يقول لك لن أميز لك كل حديث، لأن الكتاب ما ألف لعامة المسلمين، الذين لا يفرقون بين الرواة، وإنما ألف لأهل العلم.

فبناء عليه رأوا أنهم إذا أسندوا فقد برئت عهدتهم، وإلا الأصل أن الحديث الموضوع لا يجوز أن يذكر إلا ليحذر منه، هذا الأصل، فليس لك أن تقول حديثا تنشره في المسلمين إلا إذا قلت هذا الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يصح عنه وهو مكذوب على رسول الله فاحذروه، هذا الأصل، لكن يقول هؤلاء المصنفون رحمهم الله: إذا أسندنا ونقلنا الحديث بالإسناد فالعهدة قد برئت وهي على القارئ، وإن كان لا شك أنه مثل ما ذكرنا أنه قد يطول بالواحد منهم أن يقف عند كل حديث، فيقول أنا أسندت.

ولهذا تأتي مصنفات لبعض أهل العلم في تمييز الأحاديث الصحيحة من الضعيفة، ينشأ علم جديد، وتمييز الصحيح من الضعيف، فيكون عندنا كتب جامعة تجمع الصحيح والضعيف، هناك كتب أفردت للصحيح، التزم أهلها الصحيح كالبخاري ومسلم وغيرهما ممن التزم المصنفون فيهما الصحيح، لكن هناك كتب وهي عموم الكتب يذكرون فيها السند ويحيلون الأمر على القارئ.

حديث علي رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ حَدَّثَ عَنِّي حَدِيثًا وَهُوَ يُرَى -أي يُظَنُّ- أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبَيْنِ»، ضبطت النصوص الواردة أحد الكاذبَيْنِ أو أحد الكاذبِينَ، يعني أنه قد .. سيدخل على كل حال في عهدة الكذب، فيكون ثاني الكاذبين، أو ضمن الكاذبين.

وإن كان حديث سمرة رضي الله عنه «مَنْ حَدَّثَ عَنِّي حَدِيثًا وَهُوَ يَرَى» يرى بمعنى يعلم، أما السابقة وهو يُرى أي يظن أنه كذب فهو أحد الكاذبين.

وهكذا حديث علي رضي الله عنه، وحديث سمرة أيضًا أعاده بسند آخر، حديث المغيرة أيضًا «مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ وَهُوَ يُرَى أَنَّهُ كَذَبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبَيْنِ» فيه دلالة على الاحتياط، وفيه دلالة على شرف علم الحديث، وشرف أن تزود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتقول للناس هذا

حديث باطل لا تنشروه، وهذا حديث صحيح وتميز، تميز الصحيح من الضعيف، وتنبه أمة محمد إلى ما ينتشر فيها من الأحاديث الباطلة حتى تحذرها.

{أحسن الله إليكم..

قال رحمه الله تعالى:

**باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين**

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بَشِيرِ بْنِ ذَكْوَانَ الدِّمَشْقِيُّ قال: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ الْعَلَاءِ -يعني ابن زبر- قال: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي الْمُطَاعِ قَالَ: سَمِعْتُ الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ يَقُولُ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقلنا يَا رَسُولَ اللهِ: وَعَظْتَنَا مَوْعِظَةَ مُوَدِّعٍ فَاعْهَدْ إِلَيْنَا بِعَهْدٍ فَقَالَ: «عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، وَسَتَرَوْنَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلَافًا شَدِيدًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ بِشْرِ بْنِ مَنْصُورٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ السَّوَّاقُ قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ عَنْ ضَمْرَةَ بْنِ حَبِيبٍ عَنْ

عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو السَّلَمِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ يَقُولُ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ: إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ».

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَكِيمٍ قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ الصَّبَّاحِ الْمِسْمَعِيُّ قال: حَدَّثَنَا ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً فَذَكَرَ نَحْوَهُ}.

هذا الباب من حسن أيضًا طريقة عرض المصنف رحمه الله تعالى في التبويب، الأبواب الأولى تتعلق باتباع النبي صلى الله عليه وسلم، سنته، وتعظيمها، والتوقي في أمرها، والتغليظ على من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، أو حدث بحديث يُرى أنه كذب، فلما أتم ما يتعلق بسنة النبي

صلى الله عليه وسلم شرع فيما يتعلق باتباع خلفاءه الراشدين الأربعة المهديين رضي الله عنهم.

أولا: وصفهم بالراشدين هذا تزكية عظيمة، قال الله عز وجل: ﴿وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧]، فوصف النبي صلى الله عليه وسلم لهم بالراشدين تزكية عظيمة.

الأمر الآخر: أنه جعلهم خلفاءه، والمقصود هنا الخلفاء الأربعة، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي كما قال عليه الصلاة والسلام: «خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً» وهي خلافة الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

وعظهم صلى الله عليه وسلم مرة موعظة بليغة، فخافت قلوبهم وذرفت عيونهم بالدموع، فقالوا كأنه موعظة مودع، وفي اللفظ هنا عندك: وعظتنا موعظة مودع فاعهد إلينا، يعني أوصنا، فقال: «عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ» قرن تقوى الله عز وجل بالسمع والطاعة يعني لولاة الأمور، إذا أمروكم بما ليس فيه معصية، قال: «وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا» يعني وإن كان ولي الأمر هذا الذي عين عليكم أميرا وإن كان عبدا حبشيا، يعني لا تحتقروه وتقول هذا عبد، ولا نسمع له ونطيع، لا، بل أطيعوه، وفي مسلم «مَا قَادَكُمْ

بِكِتَابِ اللهِ» يعني ما دام هذا العبد الحبشي يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا.

ثم قال: «وَسَتَرَوْنَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلَافًا شَدِيدًا» هذا النص وأمثاله فيه علم من أعلام النبوة، بإخبار النبي صلى الله عليه وسلم أمته بما سيقع من بعده، وهذا باب عظيم من أبواب العلم المتعلق بدلائل النبوة، ومنها الإخبار بأمور من الغيب فتقع كما أخبر صلى الله عليه وسلم.

وأخبر صلى الله عليه وسلم أن هذا الاختلاف سيكون شديدا، «وَسَتَرَوْنَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلَافًا شَدِيدًا»، ما الحل؟ قال: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي» ما دمت عرفتم الحق في سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، فمهما وقع من اختلاف فإياكم أن تتزحزحوا وهذا المعنى، ولهذا قال: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ» النواجذ هي الأضراس، الضرس العض به أشد من العض بالأسنان التي في المقدمة هذه كالأنياب والثنايا ونحوها، فالأضراس أقوى، فأمرهم بشدة الاستمساك بسنته وسنته خلفائه رضي الله عنهم وأرضاهم، إذا التزم مسلم هذه الوصية فلو تغير من حوله الشرق والغرب ما ضره، لأن عنده العلاج.

وهذا من عظمة هذا الدين، أنه يخبرك بالداء ويعطيك الدواء، «سَتَرَوْنَ بَعْدِي اخْتِلَافًا شَدِيدًا» إنا لله وإنا إليه راجعون، ماذا نفعل؟ أبدا العلاج عندك، «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي» الذي عرفتموه من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين حتى لو اختلف كل من حولك حتى ولو أقرب الأقربين لك، استمسك بالسنة حتى تموت على ذلك، كما قال عليه الصلاة والسلام في حديث حذيفة رضي الله عنه «وَلَوْ أَنْ يَأْتِيَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَاضٌّ بِجِزْلَ شَجَرَةٍ» يعني على شجرة .. إذا اختلف من حولك من استمساكك بما أنت عليه من الحق حتى لو تموت والموت يأتيك وأنت عاض على أصل شجرة، تبقى حتى لو اختلف الناس، ولا يكون المسلم إمعة يقول كل الناس تغيروا، أولا ولله الحمد كل الناس لا يتغيرون، تقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ فِي أُمَّتِي» فكن من هذه الطائفة، وكن من ذلك الغرس الذي تقدم «لَا يَزَالُ اللهُ يَغْرِسُ لِهَذَا الدِّينَ غَرْسًا» أما أنت تكون إمعة، تقول الناس تغيرت مفاهيمهم، وتحولت ما كان عندهم من أمور، نقول هذا الضلال، كما قال حذيفة: (الضلالة حق الضلالة أن تعرف ما كنت تنكر وتنكر ما كنت تعرف، إياك والتلون في دين الله فإن دين الله واحد)، أن تعرف ما كنت تنكر، أمور كنت تنكرها تقول هذه محرمة وقبيحة، بعد ذلك صرت

تعرفها وصرت تستسهلها، وعكسها تنكر ما كنت تعرف من الحق، مثل التحوط في أمر النساء وعدم الاختلاط بهن ونحو ذلك، بعد ذلك صرت تتساهل، فعرفت ما كنت تنكر، وأنكرت ما كنت تعرف، يقول هذه الضلالة حق الضلالة، إياك والتلون في دين الله، لا يكون كل يوم لون، كل يوم شكل، كل يوم لك فتوى، كل يوم لك وجهة، فإن دين الله واحد.

يعني لا تتلون، حتى وإن اختلف من حولك، فأنت تسعى إلى إصلاح نفسك ومن تحت يدك، وتسعى في الأمة إلى أن تكون كالغيث حيث ما وقع نفع، وتجتهد في ذلك، وتثبت، ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، تثبت، وهذا من مواضع الاختبار العظيمة، ولهذا جاء عنه عليه الصلاة والسلام أن الثابتين في آخر الزمان يكون لهم من الأجر مثل الخمسين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالوا: منا أو منهم، قال: «بَلْ مِنْكُمْ، إِنَّكُمْ تَجِدُونَ عَلَى الْحَقِّ أَعْوَانًا، وَلَا يَجِدُونَ عَلَى الْحَقِّ أَعْوَانًا»، نعم درجة الصحبة لا تفكر بتاتا أن أحدا يبلغها، فالصحابة أفضل الأمة بإطلاق، لكن من حيث كثرة أجر من يكونون في زمن الغربة، والغربة تتفاوت، فقد تشتد في بلدان دون بلدان، قد تشتد في أزمنة دون أزمنة، المسلم واحد ما له أشكال وألوان، يوم يفتي بفتوى فيها حق مستندة إلى دليل، ويوم

آخر يقول مثل ما يقول بعض الناس ماذا نفعل؟ تغير الناس، وإذا تغيروا الناس نغير حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بتغير الناس، حتى لو تغير الناس المفروض يا طالب العلم إذا تغير الناس أن تكون مثل المنارة الشاهقة في البيان والتوضيح، أما أن تزل مع الناس وتقول تغير الناس، ما فرقك إذن عن العامي الجاهل، الذي لا يدري، فيكون الإنسان ثابتا راسخا، لهذا قال: «فَعَلَيْكُمْ» وهذا فيه التحريض على الثبات «بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ».

ثم قال: «وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ» وفي اللفظ الآخر: «وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ» المحدثات المبتدعات التي تكثر في الناس، تتغير، لو تحصي فقط في عشرين سنة ما الإحداث الذي أحدث في الناس لكتبت فيه كتابا بمئات الصفحات، وإياك وأن تجتثك وهذه المحدثات، «إِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»، فيثبت المسلم ويقبل بهذه الموعظة البليغة من رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أبكت الصحابة رضي الله تعالى إنهم، وقالوا إنها موعظة مودع، الإنسان إذا أراد أن يودع أحدا في سفر أو نحوه قد لا يجده، يعظه موعظة تكون موعظة بليغة، قالوا: فماذا تعهد إلينا؟ يعني ما الذي توصينا به، فقال: «تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا

بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ»، لم يمت صلى الله عليه وسلم إلا والأمور كالشمس في وضح النهار -صلوات الله وسلامه عليه.

ثم قال: «مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا»، الذي لا يرى الاختلاف الكثير هو الذي مات قبل الفتن، أما الذي سيعيش لا بد أن يرى شيئا من الاختلاف الكثير، فعليكم ما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وعليكم بالطاعة، وإن عبدا حبشيا، وإن كان يعني المولى عليكم عبدا حبشيا فإنما المؤمن كالجمل الأنف، الجمل الأنف الجمل يخرق أنفه، ويجعل فيه زمام، فإذا جر بهذا الزمام مباشرة ينقاد، حتى لو يجره صبي صغير؛ لأنه لو عاند لأثر ذلك في أنفه، فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيث ما قيد انقاد، حيث ما قيد وسيق ينساق.

إذا كان لم يؤمر بمعصية، هذا المعنى كما دلت النصوص الأخرى، فعلى المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة، معلوم هذا الأمر، لكن إذا كان المسلم يؤمر بما هو حق فإنه ينقاد، ولا يتمنع، ولا يتسبب في إحداث فوضى وإخلال بأمن جماعة المسلمين وينقاد فيما أحب وفيما كره، إذا أمر بمعصية فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يقل فقط لا تطيعه، قال: «فَلَا سَمْعَ» أصلا «وَلَا طَاعَةَ» ما

فيه أحد يسمع له ويطاع، لا حاكم ولا أب مع أبنائه، ولا زوج مع زوجته، ولا سيد مع عبيده، هذا معلوم، لهذا قال صلى الله عليه وسلم: «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ» أي مخلوق لا يطاع، لكن المقصود أن المسلم ليس صاحب فوضى، صاحب تمنع، ينظر كيف الناس على حال حتى يتجه إلى وجهة مخالفة، المسلم ليس بحاثا عن الخلاف والمناكفة للأمة، لا، إنما المسلم يحرص على ما فيه لم الشمل، وإصلاح الحال، إلا إذا أمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة لأحد، ويحرص المسلم على أن لا يكون صاحب عناد ومكابرة وتسبب في تشتيت الجماعة، أو قد يقول كلمة يترتب سفك دماء، يتفطن، ولا سيما طالب العلم، طالب العلم كلمته ليست ككلمة غيره.

وجاء في الحديث اللفظ الآخر أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بهم صلاة الصبح، ثم وعظهم هذه الموعظة بعدها.

{أحسن الله إليكم..

قال رحمه الله تعالى:

**بَاب اجْتِنَابِ الْبِدَعِ وَالْجَدَل**

حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ الْجَحْدَرِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ مَسَّاكُمْ، وَيَقُولُ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ» وَيَقْرِنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى ثُمَّ يَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْأُمُورِ كِتَابُ اللهِ وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» وَكَانَ يَقُولُ: «مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَعَلَيَّ وَإِلَيَّ».

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ مَيْمُونٍ الْمَدَنِيُّ أَبُو عُبَيْدٍ قال: حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ عَنْ أَبِي إِسْحَقَ عَنْ أَبِي الأَحْوَصِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّمَا هُمَا اثْنَتَانِ: الكَلَامُ وَالْهَدْيُ، فَأَحْسَنُ الْكَلَامِ كَلَامُ اللهِ وَأَحْسَنُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، أَلَا وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدِثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ شَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، أَلَا لَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الْأَمَدُ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ، أَلَا إِنَّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ، وَإِنَّمَا الْبَعِيدُ مَا لَيْسَ بِآتٍ، أَلَا إِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، أَلَا إِنَّ قِتَالَ الْمُؤْمِنِ كُفْرٌ وَسِبَابُهُ فُسُوقٌ، وَلَا

يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ، أَلَا وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ لَا يَصْلُحُ بِالْجِدِّ وَلَا بِالْهَزْلِ، وَلَا يَعِدُ الرَّجُلُ صَبِيَّهُ ثُمَّ لَا يَفِي لَهُ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارَ، وَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ يُقَالُ لِلصَّادِقِ صَدَقَ وَبَرَّ، وَيُقَالُ لِلْكَاذِبِ كَذَبَ وَفَجَرَ، أَلَا وَإِنَّ الْعَبْدَ يَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا».

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ خِدَاشٍ قال: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ابْنُ عُلَيَّةَ قال: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ ح}

(ح) هذه بعض الإخوة سأل عنها، (ح) هذه تحويل في السند، لو ترى آخر السند حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ خِدَاشٍ قال: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ابْنُ عُلَيَّةَ قال: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، لما وصل لأيوب روى سندا آخر يلتقي عند أيوب فقال: ح، سند آخر، وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ الْجَحْدَرِيُّ وَيَحْيَى بْنُ حَكِيمٍ قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، فأورد الحديث عند إسماعيل بن علية عن أيوب، وأورده عن عبد الوهاب كلاهما حدثهم أيوب، هذا المراد بـ (ح) بحيث يلتقي السندان عند أيوب، هذا المراد به.

{أحسن الله إليكم..

قال رحمه الله تعالى:

وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ الْجَحْدَرِيُّ وَيَحْيَى بْنُ حَكِيمٍ قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيهِ فَهُمُ الَّذِينَ عَنَاهُمُ اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ».

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُنْذِرِ قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ ح وَحَدَّثَنَا حَوْثَرَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ قَالَا: حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ دِينَارٍ عَنْ أَبِي غَالِبٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ» ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ الْآيَةَ.

حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْعَسْكَرِيُّ قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ أَبُو هَاشِمٍ ابْنِ أَبِي خِدَاشٍ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِحْصَنٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي عَبْلَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الدَّيْلَمِيِّ عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَقْبَلُ اللهُ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ صَوْمًا وَلَا صَلَاةً وَلَا صَدَقَةً وَلَا حَجًّا وَلَا

عُمْرَةً وَلَا جِهَادًا وَلَا صَرْفًا وَلَا عَدْلًا، يَخْرُجُ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا تَخْرُجُ الشَّعَرَةُ مِنَ الْعَجِينِ».

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ سَعِيدٍ قال: حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مَنْصُورٍ الخياط عَنْ أَبِي زَيْدٍ عَنْ أَبِي الْمُغِيرَةِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبَى اللهُ أَنْ يَقْبَلَ عَمَلَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ حَتَّى يَدَعَ بِدْعَتَهُ».

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدِّمَشْقِيُّ وَهَارُونُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ وَرْدَانَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَهُوَ بَاطِلٌ بُنِيَ لَهُ قَصْرٌ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ بُنِيَ لَهُ فِي وَسَطِهَا، وَمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ بُنِيَ لَهُ فِي أَعْلَاهَا»}.

هذا الباب أيضًا يدل على حسن عرض هذا الإمام رحمه الله تعالى للنصوص، تقدمت الأبواب السابقة بلزوم السنة ولزوم ما عليه الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم، فمن عرف هذا الحق فليزمه حتى يلقى الله، فلما كان ما خالف هذا الهدي هو الضلال والباطل، شرع في التبيين لبيانه، وذكر شيئين: الأول البدع، والثاني: الجدل.

أما البدع فالمراد بها ما كان على خلاف السنة النبوية، وخلاف ما عليه السلف الصالح، وعلى هذا ماذا يدخل في البدع؟

كل الفرق الضالة تدخل في البدع ولعياذ بالله، كلهم أهل بدع، كل فرقة ضالة فهي داخلة في البدع، فتشيعت الشيعة، وخرجت الخوارج، واعتزلت المعتزلة، وتجهمت الجهمية، وخرجت هذه الضلالات وفارقوا ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن صحابته الكرام رضي الله عنهم، وبعد أن صار من المعالم الكبار بين أهل الحق وأهل الباطل من يدعو إلى الكتاب والسنة وما إلى عليه الخلفاء الراشدون والسلف الصالح، نعلم ظاهر، أما إذا نظرت إلى أهل الباطل فقلت إلى من تدعون؟ يقول الجهمي: إلى الجهم، والمعتزلة؟ إلى عمرو بن عبيد، والخوارج؟ أنا أدعو إلى نافع بن أزرق، أو مثل ما تدعو الإباضية إلى عبد الله بن إباض، ومن كان على شاكلته، وهكذا، فهم يدعون إلى أشخاص، أهل السنة إلى من تدعون؟ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، هو الذي نقول: أشهد أن محمدا رسول الله، ولهذا لما بلغ الإمام مالك رحمه الله تعالى أن رجلا من أهل البدع عند موته قال: لما سألوه تموت على ماذا؟ قال: أموت على دين أبي عمارة، أبو عمارة هذا هو رأس البدعة الذي هو فيها، قال: انظر إلى هذا الشقي يقول أموت على دين

أبي عمارة، ولا أموت على دين من؟ أبي القاسم صلى الله عليه وسلم، الإنسان يموت نسأل الله حسن الخاتمة هل يصح تقول أنا أموت على ما عليه أحمد بن حنبل، لا، قل: أنا أموت على مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي عليه أحمد بن حنبل وغير أحمد بن حنبل من عموم الصحابة والتابعين والسلف، لكن ما تقول: أنا أموت على مات عليه فلان، نحن نموت على مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكل من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو تبع له، ولأجل ذلك كما قال اللالكائي رحمه الله تعالى يقول: (كل طائفة فإلى من أوجد بدعتها تنتسب، إلا أهل الحديث -يعني أهل السنة- فإن صاحب مقالتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم).

هو الواجب، الواجب هذا هو أن تجتنب البدع، وهذا الواجب على المسلمين، أن ينفضوا هذه البدع والضلالات، لا من تصوف ولا من تمشعر، ولا من كلابية، ولا من اعتزال، ولا من خروج، ولا من تجهم، هذا الذي أضر الأمة، عندك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وعندك هدي الصحابة رضي الله عنهم واعتقاد الصحابة مروي بالسند، وتبحث عن غيره، فلأجل ذلك نصوا رحمهم الله تعالى على اجتناب البدع.

البدع عرفت بأنها طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الطريقة الشرعية يقصد بالسلوك عليها التقرب إلى الله عز وجل، أو يُقال: هي ما كان على خلاف سنة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله تعالى عنهم.

النهي عن الجدل المراد به الجدل الباطل، الذي يقع من أهل البدع والضلالات، قال تعالى: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [غافر: ٥]، كما ترى، الآن سبحان الله تقرأ في كتب المعتزلة كلام طويل عريض بالخمسين وبالمائة صفحة ما فيه حديث ولا آية، ليزلزلوا الأحاديث والمروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في الاعتقاد، جدل عقيم سخيف، يضرب أوله آخره، تجد التناقض في نفس الكلام، تأخذ كلام المعتزلي الأول فتضرب به كلام المعتزلي في نهايته.

شبه تهافت كالزجاج تخالها ** حقا وكل كاسر مكسور

لو أخذت الزجاجتين وضربت بهما بعضا لانكسرت الزجاجة الضاربة والمضروبة، وهكذا شبههم، جدل عقيم كما قال تعالى: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾، وقال عز وجل: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [غافر: ٤]، فهل يليق بمسلم أن يسلك هذا المسلك ويجادل في

آيات الله هذا الجدال الفارغ، ليدل مدلول هذه الآيات، ومدلول كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما الجدل الذي هو مباحثة علمية في مسائل يسوغ فيها النقاش، كمسائل الفقه لمعرفة الراجح من المرجوح، هل الحديث الذي مع أهل العلم هؤلاء الذين حرموا صحيح أم الحديث الذي مع أولئك هو الصحيح، من قال بهذا من السلف قبل هؤلاء، من قال بهذا من السلف قبل هؤلاء، فهذا لا يذم، بشرط أن يكون الداخل في هذا من أهل العلم، لا أن يكون من هؤلاء الجهلة الآن الذين يتصدرون ويخوضون في مسائل العلم، والواحد منهم ما أخذ العلم نهائيا.

وقد عظمت الفتنة في الأزمنة الأخيرة بدراسة الشريعة على الكفار، وهذه حقيقة عجيبة من العجائب، ما عرفت بتاريخ الأمة، يذهب ليدرس العقيدة في كامبريدج ولا في أكسفورد، يا لله العجب، على من درست؟ على مونت كومري وات، لا إله إلا الله، سبحان الله العظيم، منصر مستشرق عدو للإسلام، تذهب يا ابن الفطرة تدرس عليه الإسلام، عجب.

ثم أنت إذا رويت تقول حدثنا شيخنا ابن باز قال حدثنا شيخنا.. هذا يليق أن تقول حدثنا هذا المستشرق، أما تستحون، أيؤخذ دين الله من أعدائه،

عجب، ثم الواحد منهم عند نفسه لا يرى أحدا من أهل العلم شيئا، سبحان الله هؤلاء ينتفخون انتفاخا عجيبا، لا يرى أحمد بن حنبل شيئا ولا ابن تيمية، ويجلس يكتب كتابه يتحدث عن أهل العلم، يصنف هذا بأنه عنده شدة في الفتوى، وذاك عنده كذا، ولو سألته عن مسألة من مسائل الوضوء لوجدته لا يجيدها، كيف يؤخذ العلم عن مثل هؤلاء.

فمثل هذا لا شك أنه إذا دخل في المباحثة العلمية أنه على غير هدى ولا يقبل منه، لأنه لا بد أن يكون المناقش في المسائل العلمية أن يكون من أهل العلم، كما أنه لا يقبل من العامي الذي لا يعرف مسائل العلم أن يدخل فيها، فكيف بمثل هذا، هذا الحقيقة أنه عامي، الحاصل أنه ينبغي أن يعرف أن البدع مذمومة مطلقا، لقوله صلى الله عليه وسلم: «كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» فهذا لا استثناء فيها، أما الجدال فعلى التفصيل الذي ذكرنا، إذا كان الجدال ليدحض الحق، أو الجدال فيما لا يجوز الجدال فيه من مسائل الغيب، والمسائل التي لا يجوز الخوض فيها فهذا لا شك أن هذا باطل.

أما إذا كان المقصود به المناقشة العلمية بين أهل العلم رحمهم الله تعالى لمعرفة الراجح من المرجوح، وخذ هذا المثال الشافعي رحمه الله تعالى تناقش مع أبي عبيد رحمهما الله في القرء الذي قال الله تعالى: ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾

[البقرة: ٢٢٨]، من أهل العلم من يقول القرء هو الحيض، ومنهم من يقول الطهر، فكان الشافعي يرى أن القرء هو الحيض، وكان أبو عبيد رأى أن القرء هو الطهر، أو العكس، المهم كل واحد منهم على قول، تناقشا، انتهت المناقشة بماذا؟ قال الشافعي: الصواب قولك يا أبا عبيد بعد هذه المناقشة، قال أبو عبيد: اتضح لي أنا من المناقشة الآن أن الصواب قولك أنت، فتقلد أبو عبيد قول الشافعي، وتقلد الشافعي قول أبي عبيد، لماذا؟ لأنهم أهل إنصاف، قال: بعد المناقشة أنا سأترك قولي لقولك، قولك هو الصواب، قال: لكن أنا تركت قولي لقولك، لأنه هو الصواب.

قال: حتى وإن سألت هذا المسكين، لماذا؟ لأن هذا نقاش أهل العلم الذين يريدون الوصول إلى الحق، في المناقشة في مسألة يسوغ المناقشة فيها، هل قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] يقصد بها الحيض أو الطهر؟ لأهل العلم فيها قولان، فإذا تناقش علم كبير كالشافعي وعلم كبير كأبي عبيد، ما فيه إشكال، لكن يتناقش فيها عامة، أو يتناقش فيها من لم يتلقى العلم عن أهله، مثل ما حصل الآن من كثير ممن أصلا لم يتعلم العلم نهائيا، أو تعلمه عمن لا يصح أن يؤخذ العلم عنهم، ثم تصدر للكلام في مسائل الدين على النحو العظيم الذي يدخل في قوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ

يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا»، هذا من الاختلاف، ما عهد في أمة محمد لم يعهد في أمة محمد صلى الله عليه وسلم أن العلم يؤخذ إلا عمن يصح أن يؤخذ عنه، أما أن يؤخذ عن الجهال على هذا النحو، فهذا لا يقع إلا في فترات غربة الدين، كما حصل مثل ما قلنا في أخذه عن جهلة المعتزلة، أو جهلة الصوفية وأمثالهم، أو مثل ما هو واقع الآن من هؤلاء الذين يخوضون في مسائل العلم، ويقولون العجائب، العجائب سبحان الله، جهالات غاية في العجب في فهمهم للنص، وفي فهمهم لخلاف العلماء، كأحمق موجود مقطعه، يقول: صحيح البخاري ليس لمحمد بن إسماعيل، من هو له؟ قال لجمعة محمد إسماعيل، من أين أتيت اسم جمعة هذا، مكتوب عليه: جمعه محمد بن إسماعيل، يحسبون أن اسمه جمعة، هو جمعه أصلا بدون نقطتين، يقول اسم البخاري ليس هو محمد بن إسماعيل، الناس يكتشفوا اكتشاف أن اسمه جمعة، هذا الجهل، فالحاصل أن مثل هذه الأمور مما جد في الناس من الجهالات الكثيرة التي للأسف أدى إليها دخول الناس في هذا الاختلاف الشديد.

لأجل ذلك أورد هذه الأحاديث في وجوب اجتناب البدع والجدال، فأورد حديث جابر رضي الله عنه الدال على هيئة النبي صلى الله عليه وسلم

عند الخطبة، الخطيب ينبغي أن يكون مهتما بالمقام، فكان صلى الله عليه وسلم إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ من عظم المقام الذي هو فيه، لأنه يدل الناس على الطريق الموصل إلى الجنة، يحذرهم من الطريق الموصل إلى النار، فالمقام يقتضي الانتباه والاهتمام والحرص والحماس من المتحدث، يقول: كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ، يعني كأنه ينذر الناس يقول أتاكم جيش الآن في الطريق، يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ مَسَّاكُمْ، يعني الجيش سيصبحكم سيأتيكم في الصباح، أو سيأتيكم في المساء، وَيَقُولُ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ» وَيَقْرِنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ -السبابة هذه التي تؤشر بها في ذكر الله عز وجل في التحيات وعندما تذكر الله- وَالْوُسْطَى هي الوسطى، أي أنه صلى الله عليه وسلم نبي الساعة، ليس بعده نبي، وليس بعد أمته أمة، والدنيا ستنتهي وتقوم الساعة على هذه الأمة.

ثُمَّ يَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْأُمُورِ كِتَابُ اللهِ» لا شك كتاب الله خير الأشياء على الإطلاق، «وَخَيْرُ الْهَدْيِ» والهدي هو الطريقة والسيرة، «هَدْيُ مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» فيه دلالة على أن ما فيه شيء اسمه بدعة حسنة، قوله صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» عام يشمل جميع البدع، وَكَانَ يَقُولُ: «مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ» يعني إذا مات الميت

وترك مالا لمن يكون المال؟ لأهله لورثته، «وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا» ضياعا أي عيالا العيال الصغار قد يضيعون، «مَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَعَلَيَّ وَإِلَيَّ»، يعني إذا ترك الدين فأنا أسدد دين الميت، وهكذا أولاده الصغار لأنهم قد يضيعون، فأنا أقوم بهم، وهذا يدلك كما قال أهل العلم على أن ولي الأمر يقوم إذا كان في بيت المال سعة يقوم بسداد الديون عن الموتى، ولا يترك لأن الميت يحبس بدينه، وهكذا أولاده الصغار، قد يضيعون، فيتولى ولي الأمر أمرهم ولا يتركون يضيعون تحت وطئة الحاجة.

حديث ابن مسعود رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّمَا هُمَا اثْنَتَانِ» عندنا شيئان اثنان: «الكَلَامُ وَالْهَدْيُ، فَأَحْسَنُ الْكَلَامِ كَلَامُ اللهِ» وهذا يدل على أن القرآن كلام الله، كما قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، «وَأَحْسَنُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، أَلَا وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدِثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ شَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»، فيه دلالة على أن البدع ضلال مطلقا، وأنه لا يوجد شيء اسمه بدعة حسنة، ولهذا ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: (كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وإن رآها الناس حسنة)، يعني لا تقوم بدعة حسنة، ما فيه شيء اسمه بدعة، يقول ابن عمر: قد تراها حسنة، لكنها لا يمكن أن

تكون حسنة، ثابت عن ابن عمر: (كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وإن رآها الناس حسنة)، لأن صاحب البدعة يستحسنها دائما، يقول: أنا هذه فيها خير، فيها ذكر، فيها تذكير بالرسول صلى الله عليه وسلم، كما يقع في الموالد وغيره، هي حسنة طيبة ما قلت باطلة، يقول: هي بدعة وإن زعمت أنها حسنة.

«أَلَا لَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ الْأَمَدُ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ» كما قال الله في أهل الكتاب ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦]، «أَلَا إِنَّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ، إِنَّمَا الْبَعِيدُ مَا لَيْسَ بِآتٍ» الذي سيأتي لا شك أنه قريب، بما فيه قيام الساعة، ولهذا قال تعالى في الساعة ما علمت من قربها، «الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ» من كتبت عليه الشقاوة وهو بطن أمه، «وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ» إذا رأيت عقوبة الله لأحد واتعظت فأنت سعيد، فإن لم تتعظ فأنت الشقي، لأنه قد تعاقب أنت فيتعظ بك غيرك، فالسعيد من يوعظ بغيره.

«أَلَا إِنَّ قِتَالَ الْمُؤْمِنِ كُفْرٌ» والمقصود به قطعا الكفر الأصغر وليس الأكبر، لأن الله ذكر أن القتال يقع بين المؤمنين، وإن كان لا يجوز أن يقاتل المؤمنين بعضهم بعضا، لكنه وقع القتال فلا يكون الحكم هو الكفر، قال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ [الحجرات: ٩]، فدل على أنه

يقع القتال بين المؤمنين، ولهذا قال بعدها: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، فالمقصود أنه كفر أصغر.

«وَسِبَابُهُ فُسُوقٌ» فيه دلالة على أن السب والشتم وقلة الأدب والألفاظ القبيحة أنها فسق بالمرء عياذا بالله.

«وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ» إذا وقع بينك وبين أخيك خصمة، وأغضبك أو قال كلمة غير مناسبة، فهجرته يجوز على ألا تتجاوز ثلاث ليال، فإن تجاوزت ثلاث ليال فسلم عليه، يلزمك أن تقول السلام عليكم وأن تكف عن هذه القطيعة.

وجاء في الحديث أن المتخاصمين المتصارمين إذا ماتا على صرامهما لم يدخلا الجنة عياذا بالله، فالخلاف الذي يقع بينك أنت أخطأت أنت كذا، أنت قلت في هذا ما ينتهي هذا بين الناس، فلا يجوز أن تزيد الخصمة عن هذا، جار، زميل، أي أخ مسلم، وأشد من ذلك قريب وقع بينك وبينه موقف من هذه المواقف التي تقع بين الناس كثيرا سوء فهم خلاف، قال كلمة غير لائقة، قلت كلمة غير لائقة، لا يجوز أن تزيد الهجرة عن ثلاث ليال، وهدد صلى الله عليه وسلم المتصارمين المتخاصمين المتهاجرين هددهما إن ماتا ألا يدخلا الجنة، فإياك وهذه القطيعة التي تكون قطعا على أمور الدنيا.

«أَلَا وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ لَا يَصْلُحُ بِالْجِدِّ وَلَا بِالْهَزْلِ» لا تستعمل الكذب ولا تكن من أهله، حتى ولو بالمزاح، «وَلَا يَعِدُ الرَّجُلُ صَبِيَّهُ ثُمَّ لَا يَفِي لَهُ» ما تقول لصبيك أنا سأحضر لك حلوى سأحضر لك كذا، ثم لا تفي، إذا وعدته فعليك أن تفي.

«فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارَ، وَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ يُقَالُ لِلصَّادِقِ صَدَقَ وَبَرَّ، وَيُقَالُ لِلْكَاذِبِ -عياذا بالله- كَذَبَ وَفَجَرَ، أَلَا وَإِنَّ الْعَبْدَ» واحذر هذا الحديث «يَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»، الكذب عياذا بالله يسترسل بالإنسان، فقد يكذب في أمور يزعم أنها يسيرة، مع أن الكذب لا يصلح فيه جد ولا هزل كما سمعت، لكن يسترسل حتى يكون كذابا، ويكتب عند الله رب العالمين في الكذابين عياذا بالله.

في حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم تلا ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]، قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيهِ فَهُمُ الَّذِينَ عَنَاهُمُ اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ»، ما المراد بالآية؟ ذكر كثير من المفسرين ابن

جرير، ابن كثير، الشوكاني، وغيرهم وابن إسحاق ومحمد بن جعفر أن المراد به من يأتون ليأخذوا من النصوص الأمر الذي يحتمل، عندنا آيات القرآن نوعان: محكم واضح جلي بين، ومتشابه يحتمل لا تستطيع أن تفهم هذا النص إلا إذا رددته إلى نص محكم، فأهل الباطل يأتون إلى المتشابه ليستمسكوا به، يتبعون المتشابه، ما بالك لا تأخذ المحكم البين؟ لأنه يريد أن يستدل به على بدعته، وهذا قاله كثير من أهل العلم أن هذا هو المراد بالآية، أن أهل البدع يستمسكون بالمتشابه من النصوص ويتركون المحكم البين، لماذا؟ لأن المتشابه إذا أخذ مستقلا لا يتضح حتى يرد إلى المحكم فيتبين، فهم يأخذون بالمتشابه ويتركون المحكم ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله.

ثم ذكر أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ» أناس كانوا على هدى، ثم عياذا بالله انتكسوا وصاروا إلى الضلال، يسلط الله عليهم كثرة الجدال والخصومات، ثُمَّ تَلَا ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ هذا يدلك على كثرة الخصومات وكثرة الجدال أنها أمر ممقوت، وأنها من دلائل عياذا بالله، إلا إذا كانت في رد ما يقوله أهل الكفر وأهل الضلال وأهل البدع هذا أمر آخر، مثل كثرة المجادلات التي حصلت الآن بين عدد من طلاب العلم مناقشات

طويلة، وتدخل كبار أهل العلم وحسموا الأمر وأنهوا النقاش وأبى هؤلاء إلا الإصرار، ويؤلف هذا يرد على هذا، المجادلات هذه لا تدل على خير، وتفسد القلوب.

ثم ذكر حديثين في عدم قبول توبة صاحب البدعة، الحديث الأول هذا فيه محمد بن محصن كذبه ابن معين وأبو حاتم، لا نطيل الكلام عليه، الذي يقول فيه: «لَا يَقْبَلُ اللهُ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ صَوْمًا وَلَا صَلَاةً».

والحديث الذي بعده: «أَبَى اللهُ أَنْ يَقْبَلَ عَمَلَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ» هذا لا يصح، فيه عدد من المجاهيل، أو زيد وأبو المغيرة وبشر بن منصور، كل هؤلاء من المجاهيل.

المبتدع إذا تاب هل تقبل توبته؟ إذا صدق في توبته يقبل، كما أنه يقبل توبته من الشرك، لكن توبة المبتدع أقل وقوعا من توبة العاصي، لما قال سفيان وغيره من السلف: (البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، لأن المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها)، صاحب البدعة يرى أنه على هدى، أما صاحب المعصية كشارب الخمر، يقول: أنا مخطئ وأعلم أن الله حرم هذا، وأعلم أني مبطل فيما أنا فيه، عسى الله أن يهديني، صاحب البدعة: الغالب عليه الاستمرار في بدعته، إلا أن يمن الله عليه.

ولهذا لو تنظر إلى عدد من يتوبون من البدع بالنسبة إلى عدد من يتوبون من المعصية، لوجدت أن التائبين من المعاصي أكثر، والغالب على كثير من المبتدعة إلا من يكون دخوله في البدعة غالبا عن جهل، أما أصحاب الهوى ففي أحيان كثيرة يسترسل الواحد منهم في بدعته، ويأبى عياذا بالله، ولهذا جاء عن غير واحد من السلف أن المبتدع يقل أن يتوب، يندر أن يتوب، لأنه صاحب هوى فيما هو فيه.

لكن على كل حال لو تاب فإن الله يتوب على التائب أيا كان.

حديث أنس فيه سلمة بن وردان وهو ضعيف كما في التقريب، «مَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَهُوَ بَاطِلٌ بُنِيَ لَهُ قَصْرٌ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ.. إلخ»، وروى أبو داود بسند لا بأس به، الحديث بلفظ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ» فهو يغني عن الحديث هذا الضعيف، والحديث مقارب في لفظه لكن يغني عنه إن شاء الله حديث أبي داود.

{أحسَن الله إليكم..

قال رحمه الله تعالى:

## بَاب اجْتِنَابِ الرَّأْيِ وَالْقِيَاس

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ محمد بن العلاء قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ إِدْرِيسَ وَعَبْدَةُ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ نُمَيْرٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ ح، وَحَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَحَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ وَشُعَيْبُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمُ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، فَإِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا».

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيدَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي أَيُّوبَ قال: حَدَّثَنِي أَبُو هَانِئٍ حُمَيْدُ بْنُ هَانِئٍ الْخَوْلَانِيُّ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أُفْتِيَ بِفُتْيَا غَيْرَ ثَبَتٍ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ».

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ الْهَمْدَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي رِشْدِينُ بْنُ سَعْدٍ وَجَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ عَنِ ابْنِ أَنْعُمٍ هُوَ الْإِفْرِيقِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ فَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ فَضْلٌ: آيَةٌ مُحْكَمَةٌ أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ».

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ حَمَّادٍ سَجَّادَةُ قال: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْأُمَوِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ حَسَّانَ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ نُسَيٍّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنْمٍ قال: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ قَالَ: لَمَّا بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: «لَا تَقْضِيَنَّ وَلَا تَفْصِلَنَّ إِلَّا بِمَا تَعْلَمُ، فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ أَمْرٌ فَقِفْ حَتَّى تَبَيَّنَهُ، أَوْ تَكْتُبَ إِلَيَّ فِيهِ».

حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ قال: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي الرِّجَالِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو الْأَوْزَاعِيِّ عَنْ عَبْدَةَ بْنِ أَبِي لُبَابَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَمْ يَزَلْ أَمْرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُعْتَدِلًا حَتَّى نَشَأَ فِيهِمُ الْمُوَلَّدُونَ أَبْنَاءُ سَبَايَا الْأُمَمِ فَقَالُوا بِالرَّأْيِ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»}.

ذكر رحمه الله تعالى هذا الباب في اجتناب الرأي والقياس، أيضًا المراد إدخال الرأي فيما ليس للرأي فيه مجال، أو الرأي الذي هو هوى يخالف الحق، فأما ما يذكره العالم من رأي مبني على نصوص الكتاب والسنة، أو قواعد معتبرة قد يحتاج إلى الاجتهاد في مسائل نازلة، فلا شك أن هذا ليس بمقصود، إنما المراد الرأي الباطل المصادم للحق، وهكذا يقال للقياس.

فالقياس نوعان: قياس معتبر مقبول عند أهل العلم، القياس المنضبط المعروف بقياس فرع على أصل لعلة جامعة ينضبط القياس، هذا لا بد منه، والحاجة إليه ماسة في قضايا تجد، في مسائل الأحكام كثيرة، فهذا ليس هو المقصود قطعا، ولكن المقصود بالقياس الباطل الملغى، الذي لا اعتبار به، كأن يدخل القيد بالقياس أو يكون القياس مع الفارق، بأن يكون مخطئا في نفس القياس، خطؤه في تطبيقه في نفس القياس، فلا شك أنه كما قال: باب اجتناب الرأي والقياس، يجتنب هذا.

ذكر فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ» يعني إن الله عز وجل لا ينزع العلم من صدور الرجال نزعا، كيف يقبض العلم، أخبر صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة أن من أشراط الساعة أن يقل العلم ويكثر الجهل، والمقصود به العلم الشرعي، وليس العلم الدنيوي، العلم الدنيوي يكثر كما تلاحظ، لكن المقصود العلم الشرعي، حتى يبقى الإنسان في بعض الأحيان في الخمسين وفي الستين سنة لا يحسن يتوضأ ولا يحسن يصلي، يصلي كل هذه المدة قد يكون عنده ست أو سبع لغات وعدة شهادات، ثم يقرأ قراءة يرد عليه صبي في العاشرة من عمره، فيقل العلم

الشرعي والله المستعان، ولهذا يقبض العلم بقبض العلماء، ولهذا موت العالم ثلمة كبيرة جدا في الأمة.

«فَإِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا» -عياذا بالله- ومات العلماء «اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا» حتى يسألوهم، هؤلاء رؤوس لكنهم جهال، فلما سُئِلُوا أَفْتَوْا مع أنهم جهال، فلما أفتوى أفتوا بِغَيْرِ عِلْمٍ فحصل شئيان: ضَلُّوا هم وَأَضَلُّوا غيرهم عياذا بالله من هذا الحال.

الحديث في الصحيحين والمراد قبض العلم الشرعي كما قلنا، في الخبر بعده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أُفْتِيَ بِفُتْيَا غَيْرَ ثَبَتٍ» هذه الفتيا أفتاه بها إنسان وهي فتيا غير سليمة، والذي تصدر ليفتيه ليس أهلا للفتوى، الإثم في هذه الحالة على من؟ على المفتي لا المستفتي، لأنه قد يقول هذه المسألة ليس عليك فيها حرج، لا باس، فيدخل في قضية من قضايا الربا مثلا، أو يخطئ خطئا يخل بصلاته أو بحجه فيقول لا بأس، وهو جاهل، فيترتب على ذلك فساد حجه أو صلاته، فالآثم هو المفتي، لكن يجب على المستفتي أن لا يستفتي أي أحد، وإنما يستفتي من هو أهل، فإذا كان جاهلا وسأل من يظن أنه أهل للفتوى فهذا بحسبه، وذمته بريئة، إنما يكون الآثم من أفتى بغير علم.

يبقى معنا الحديث الذي بعده فيه رشدين بن سعد وفيه ابن أنعم الإفريقي، وهما ضعيفان، أن الْعِلْم ثَلَاثَة مَا وَرَاءَ ذَلِكَ فَضْل هذا فيه هذان الضعيفان.

الحديث الذي بعده مثل ما ذكرت قبل قليل، فيه محمد بن سعيد، وهو المصلوب، الزنديق، كيف ترويه يا ابن ماجة، ماذا يقول لك ابن ماجة؟ رويته لك بالسند، ما تعرف محمد بن سعيد، يقول وأنا ما يدريني عن محمد بن سعيد، يقول لك ابن ماجة من الذي قال لك اقرأ كتابي، أنا وجهته لك أو وجهته لأهل العلم.

محمد بن سعيد إذا رآه أهل العلم هو محمد بن سعيد اسمه المصلوب، مصلوب على الزندقة، ومع ذلك أورد هذا الحديث رحمه الله مع أنه ذكر الأحاديث، لكنه لما ذكر السند أحال العهدة عليك أيها القارئ، وإلا الحديث هذا فيه محمد بن سعيد لا نطيل الكلام فيه، ليس أهلا أن يضاع الوقت فيه.

الحديث الذي بعده أيضًا فيه ضعف، وهو «لَمْ يَزَلْ أَمْرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُعْتَدِلًا حَتَّى نَشَأَ فِيهِمُ الْمُوَلَّدُونَ أَبْنَاءُ سَبَايَا الْأُمَمِ فَقَالُوا بِالرَّأْيِ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا».

السؤال هذا موجه للأخوات.. ليس للإخوة: ما الذي قاله الإمام عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي في توجيه قول عمر رضي الله عنه: (أقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)، نقلنا كلام الإمام عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي صاحب السنن فيه.

هذا السؤال موجه للأخوات وهن يكتبن الجواب للإخوة، ويتعاملون مع الجواب عليه، وإن شاء الله تعالى غدا نتم الجزء العقدي، وصلى الله وسلم على نبينا وآله وصحبه.

{بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

اللهم اغفر لنا ولشيخنا ولوالديه ولوالدينا وللحاضرين والمستمعين يا رب العالمين.

قال الإمام ابن ماجة رحمه الله تعالى:

## بَابٌ فِي الْإِيمَانِ

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّنَافِسِيُّ قال: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ قال: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ أَوْ سَبْعُونَ بَابًا، أَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَأَرْفَعُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ».

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الْأَحْمَرُ عَنْ ابْنِ عَجْلَانَ ح وَحَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ رَافِعٍ قال: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ سُهَيْلٍ جَمِيعًا عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَهُ.

حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ أَبِي سَهْلٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَزِيدَ قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ، فَقَالَ: «إِنَّ الْحَيَاءَ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ».

حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ قال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنِ الْأَعْمَشِ ح وَحَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ الرَّقِّيُّ قال: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ».

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قال: أَنْبَأَنَا مَعْمَرٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا خَلَّصَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّارِ وَأَمِنُوا فَمَا مُجَادَلَةُ أَحَدِكُمْ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَقِّ يَكُونُ لَهُ فِي الدُّنْيَا أَشَدَّ مُجَادَلَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ فِي إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ أُدْخِلُوا النَّارَ، قَالَ: يَقُولُونَ رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا وَيَصُومُونَ مَعَنَا وَيَحُجُّونَ مَعَنَا فَأَدْخَلْتَهُمُ النَّارَ، فَيَقُولُ اذْهَبُوا فَأَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ مِنْهُمْ فَيَأْتُونَهُمْ فَيَعْرِفُونَهُمْ بِصُوَرِهِمْ لَا تَأْكُلُ النَّارُ صُوَرَهُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ النَّارُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى كَعْبَيْهِ فَيُخْرِجُونَهُمْ

فَيَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرَجْنَا مَنْ قَدْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ دِينَارٍ مِنَ الْإِيمَانِ، ثُمَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ نِصْفِ دِينَارٍ، ثُمَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ»، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ فَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْ هَذَا فَلْيَقْرَأْ ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قال: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ قال: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ نَجِيحٍ وَكَانَ ثِقَةً عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا.

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ قال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ نِزَارٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صِنْفَانِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَيْسَ لَهُمَا فِي الْإِسْلَامِ نَصِيبٌ: الْمُرْجِئَةُ وَالْقَدَرِيَّةُ».

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قال: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ كَهْمَسِ بْنِ الْحَسَنِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنْ عُمَرَ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ شَعَرِ الرَّأْسِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَهُ إِلَى رُكْبَتِهِ وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَصَوْمُ رَمَضَانَ وَحَجُّ الْبَيْتِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا مِنْهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَكُتُبِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا مِنْهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَمَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»، قَالَ: فَمَا أَمَارَتُهَا؟ قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا» قَالَ وَكِيعٌ: يَعْنِي تَلِدُ الْعَجَمُ الْعَرَبَ «وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبِنَاءِ» قَالَ: ثُمَّ قَالَ: فَلَقِيَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ثَلَاثٍ، فَقَالَ: «أَتَدْرِي مَنِ الرَّجُلُ؟»، قُلْتُ اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذَاكَ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ مَعَالِمَ دِينِكُمْ».

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قال: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ابْنُ عُلَيَّةَ عَنْ أَبِي حَيَّانَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَلِقَائِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا

الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ وَتُؤَتِيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا فَذَلِكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رِعَاءُ الْغَنَمِ فِي الْبُنْيَانِ فَذَلِكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ» فَتَلَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الْآيَةَ.

حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ أَبِي سَهْلٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ صَالِحٍ أَبُو الصَّلْتِ الْهَرَوِيُّ قال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرِّضَا عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ»، قَالَ أَبُو الصَّلْتِ: لَوْ قُرِئَ هَذَا الْإِسْنَادُ عَلَى مَجْنُونٍ لَبَرَأَ.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قال: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: سَمِعْتُ قَتَادَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ أَوْ قَالَ لِجَارِهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قال: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: سَمِعْتُ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ».

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قال: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ».

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ قال: حَدَّثَنَا عَفَّانُ قال: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنِ الْأَعْمَشِ ح وَحَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ قال: حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ قال: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ».

حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ قال: حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ قال: حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ فَارَقَ الدُّنْيَا عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَعِبَادَتِهِ لَا شَرِيكَ لَهُ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ مَاتَ وَاللهُ عَنْهُ رَاضٍ»، قَالَ أَنَسٌ: وَهُوَ دِينُ اللهِ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَبَلَّغُوهُ عَنْ رَبِّهِمْ قَبْلَ هَرْجِ الْأَحَادِيثِ وَاخْتِلَافِ الْأَهْوَاءِ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ فِي آخِرِ مَا نَزَلَ يَقُولُ اللهُ: ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ قَالَ: خَلَعُوا الْأَوْثَانَ وَعِبَادَتَهَا ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾، وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾.

حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ قال: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُوسَى الْعَبْسِيُّ قال: حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ مِثْلَهُ.

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْأَزْهَرِ قال: حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ قال: حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ عَنْ يُونُسَ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ».

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْأَزْهَرِ قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ بَهْرَامَ عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنْمٍ عَنْ مُعَاذِ بْنِ

جَبَلٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ».

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الرَّازِيُّ قال: أَنْبَأَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ اللَّيْثِيُّ قال: حَدَّثَنَا نِزَارُ بْنُ حَيَّانَ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَيْسَ لَهُمَا فِي الْإِسْلَامِ نَصِيبٌ: أَهْلُ الْإِرْجَاءِ وَأَهْلُ الْقَدَرِ».

حَدَّثَنَا أَبُو عُثْمَانَ الْبُخَارِيُّ سَعِيدُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْهَيْثَمُ بْنُ خَارِجَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ يَعْنِي ابْنَ عَيَّاشٍ عَنْ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ مُجَاهِدٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وابْنِ عَبَّاسٍ قَالَا: الإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ.

حَدَّثَنَا أَبُو عُثْمَانَ الْبُخَارِيُّ قال: حَدَّثَنَا الْهَيْثَمُ قال: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ عَنْ حَرِيزِ بْنِ عُثْمَانَ عَنِ الْحَارِثِ أَظُنُّهُ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: الإِيمَانُ يَزْدَادُ وَيَنْقُصُ}.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بدأ رحمه الله تعالى في سرد ما ورد في الاعتقاد، واستهله بالإيمان، لعظم أمر هذه المسألة، والإيمان عند أهل السنة بالإجماع: قول باللسان واعتقاد

بالقلب وعمل بالجوارح والأركان، يزيد وينقص، وقد حكى الشافعيُّ رحمه الله تعالى إجماعَ الصحابة والتابعين ومَن بَعدَهم على ذلك، فقال رحمه الله تعالى: (ثم كان الإجماع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين ومن بعدهم ومن لقينا، أن الإيمان قول وعمل ونية)، قول باللسان، وعمل بالجوارح، ونية يقصد أمر القلب، اعتقاد القلب، لا يجزي واحد من الثلاث عن الآخر.

وهذا ذكره الشافعي رحمه الله تعالى في كتاب الأم، وقد نقله اللالكائي بسنده عن الشافعي من كتاب الأم، ونقله شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا في كتاب الإيمان عن كتاب الأم، وقد يورد بعضهم أن هذا النص عن الشافعي ليس في كتاب الأم الموجود الآن، وهذه الإيرادات وأمثالها خطأ ممن أوردها؛ فإن نسخة كتاب الأم الموجودة الآن نسخة هزيلة جدًّا ضعيفة، فيها من الخطأ -للأسف مع عِظَمِ قدْر هذا الكتاب- فيها من الخطأ والسقط شيء كثير.

وإذا أردت أن تعرف ذلك فتأمل موضعا في المجموع للنووي رحمه الله، نقله عن نسخة من الأم محررة، هذا الموضع موجود الآن في النسخة

المطبوعة، إذا قارنت بين الموضع الذي نقله النووي، وبين نسخة الأم الموجودة الآن وجدت الفرق الكبير.

فلا شك أن هذه الكلمة من الشافعي التي نقلها ابن تيمية من كتاب الأم، ونقلها اللالكائي بسنده عن الشافعي من كتاب الأم، يعني لو أنها لم توجد أصلاً في كتاب الأم فكفى أن اللالكائي نقلها بسنده، فلا شك أنها في كتاب الأم للإمام الشافعي رحمه الله، ولا شك أن هذا إجماع الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، وأئمة الإسلام، لا يختلفون في هذا، ونقل هذا الإجماعَ غيرُ واحد سوى الشافعي، فنقله الإمام أحمد، ونقل الإجماع على ذلك عن أكثر من ألف من شيوخه الإمام البخاري، لا يشك أهل السنة أن هذا هو المعنى الحق للإيمان، أنه قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وأنه يزيد وينقص، والزيادة نص القرآن ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١]، ﴿وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، إلى مواضع كثيرة جدا، ولهذا ترجم العلماء في المصنفات العقدية على هذا كله.

المخالف في موضوع الإيمان فرقتان، الفرقة الأولى هم المرجئة، والمرجئة سميت بالمرجئة؛ لأنها أرجأت الإيمان أي أخرت العمل عن حقيقة الإيمان؛ إذ الإيمان بإجماع الناس قبل مقالة المرجئة هذه قول

واعتقاد وعمل، فجاءت المرجئة الأولى فأخرت العمل، فلذلك سموا بالمرجئة؛ لأنهم أرجئوا العمل عن حقيقة الإيمان، وقد أنكر ذلك عليهم السلف، وردود السلف في الإنكار عليهم كثيرة جدا مروية في كتب الاعتقاد المسند وغيرها.

تفاقم الأمر بعد ذلك فجاء من آخر وأرجأ قول اللسان، وهذه مقالة عظيمة، أن يُقال: إن الإيمان لا يدخل فيه قول لا إله إلا الله، أنت تنطق بلا إله إلا الله، وقالوا إن الإيمان هو مجرد ما في القلب من تصديقه، وأصل المقالة هذه: الجهم بن صفوان، فإنه هو أول قائل بهذه المقالة الموحشة، وأخذها عنه بعد ذلك من أخذها كابن كلاب، رأس الكلابية، طائفة تسمى الكلابية، أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب.

وانتشرت للأسف في كثير من الطوائف وهي المستقرة الآن في اعتقاد الأشاعرة وفي اعتقاد الماتريدية، ينصون عليها.

وصار الإيمان بزعم هؤلاء مجرد ما في القلب، ثم إن هؤلاء هاجم بعضهم قول السلف وزعم أنه قول باطل، واجترأ بعضهم على القول بأن من قال بأن الإيمان يزيد وينقص فإنه كافر، مع أن هذا إجماع السلف، اتفاق السلف كلما قلنا، والآثار المروية عن السلف في هذا كثيرة للغاية، تجد ذلك

في الكتب المصنفة في الإيمان، كالإيمان لأبي عبيد، وكذلك الكتب التي أفرد المصنفون فيها أصحاب المصنفات العقدية كاللالكائي وابن بطة الحنبلي والآجُرِّي وغيرهم ممن صنف في السنة قبلهم ابن أبي عاصم، وكذلك عبد الله بن الإمام أحمد، وغيرهم من أهل العلم الذين صنفوا في الاعتقاد، ونقلوا أن هذا هو قول السلف قاطبة، لا يترددون فيه، والمروي عن الصحابة أنفسهم في هذا كثير، وعن التابعين.

لكن يحمل قول هذا الذي أطلق هذه الكلمة العظيمة الموحشة على أنه لم يعرف مقالة السلف وظن أن المسألة خلاف بين المتأخرين، وإلا ما فيه أحد يمكن أن يطلق على مقالة قالها السلف وهو يعلم أنها قول السلف لا يمكن أن يوقع عليها أنها من المقالات الكفرية، سوى الرافضة، لكن هناك كثيرون خاصة من المتأخرين لا يعرفون قول السلف، وإلا هذه المقالة عظيمة جدا أن تقال في مقالة السلف التي أجمعوا عليها، وهي محل اتفاق السلف لا يشكون في هذا.

فالصنف الأول من المخالفين هم المرجئة، ولما أرجئوا العمل خف أمر العمل في الناس، وصار الواحد منهم يقول أنا إيماني كإيمان جبريل وميكائيل وإن لم يعمل، ولا شك أن هذا أمر عظيم تسبب فيه إخراج العمل عن

الإيمان، مع أن المرجئة الأولى ما كانت تقول هذا قطعا، وكانت تشدد على من يترك العمل أو يتهاون فيه لكن يقولون: العمل ليس من الإيمان، أما أن يقولوا لا يعمل لا فلم يكونوا يقولون ذلك.

وهكذا المعاصي، صاحب المعصية لا بد أن يستشعر ذنبه، فإذا كان يظن أن إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل وإن زنا وإن سرق وشرب الخمر وأنه لا يؤثر ذلك في أصل إيمانه، فذلك ولا ريب يؤدي إلى استسهال الذنوب، ومن هنا قال الغلاة من المرجئة -وليست مقالة المرجئة جميعا إنما الغلاة من قولهم- قالوا: أنه لا يضر مع الإيمان معصية، مهما فعل من المعاصي فإنه لا تضره عياذا بالله هذه المعاصي، وهذا صريح المخالفة لكلام الله وكلام رسوله -صلى الله عليه وسلم.

فالحاصل أن المرجئة خالفت هذه المخالفة الشديدة، لماذا خالفت المرجئة؟

هذا موضع العبرة الآن، أصل مقالة المرجئة نبغت بعد مقالة الخوارج، فأرادت المرجئة بزعمها أن تقاوم غلو الخوارج، فقاومت غلو الخوارج وخطأهم بخطأٍ مماثلٍ، وهذه بَلِيَّة من البلايا موجودة إلى يوم هذا، إذا أراد أناس أن يُبطلوا باطلا لأحد صار عنده غلو ومبالغة، قابلوه بالجفاء

والتقصير، فسَبَّبوا بذلك شَطَطًا؛ لأنه إذا صار الغلاة في حد وحدهم، وجماعة المسلمين في حد آخر فالأمر يسهل أن يتضح، لكنَّ الإشكال إذا انبثق أناس قابلوا هؤلاء الغلاة بتقصير على الطرف المقابل، فإن ذلك يُسبب إرباكا وتشتُّتا، والحقيقة أن هذا من أكثر ما تعاني منه الأمة إلى اليوم.

هناك مَن لا يُوفق فإذا رأى غلو الخوارج، غلو مَن يبالغون في المعاصي، ويتجاوزون حدود الله عز وجل في العاصي، ويَزيدون ويُقنِّطون ويُؤَيِّسون العصاة، سَهَّلوا أمر المعصية على العصاة، وهذا كله لا شك كما ورد عن بعض السلف، للشيطان طريقان لا يُبالي أيَّهما سَلَكَ العبدُ: غلو أو تقصير، ما يكترث الشيطان أن يكون من الغلاة أو من المقصرين، المهم أن يزيله عن الطريق المستقيم حيث قال لرب العالمين: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦].

فهو يريد القعود على الصراط المستقيم، كون الإنسان يتجه معتزليا خارجيا على طريقة الوعيدية أو يتجه مرجئا على طريقة من قابلوهم، لا يكترث الشيطان، المهم أن يُزيله عن الصراط المستقيم.

الذين خالفوا من الوعيدية وإذا قلنا الوعيدية فهم الذين بالغوا في الوعيد، النصوص إذا تأملت فيها وعد ووعيد، الوعد بالمغفرة بالرحمة ببيان عظم

قدر التوحيد، وعظم قدر الإيمان، فالمرجئة تركز على هذه النصوص، وتقول أعظم عمل على الإطلاق هو التوحيد، وهذا صحيح، لكن يبنون على هذا التسهيل كما قلنا من أمر المخالفة، وأمر الكبائر حتى كبائر الذنوب، حتى إن الغلاة منهم عياذا بالله يصلون إلى حد التصريح بالمخالفة، التصريح بالتسهيل من أمور الكبائر، فيقول شاعرهم عياذا بالله:

فَأَكْثِرْ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الْمَعَاصِي *** إِذَا كَانَ الْقُدُومُ عَلَى كَرِيمِ

يقول إذا كان ربنا كريمًا ورؤوفًا ورحيمًا أكثر من المعاصي، هذا أمر بإجماع المسلمين على خلاف ما اتفق عليه المسلمون، ليس معنى كون الله كريما رحيما أن يُحرَّضَ الناسُ على معصيته عياذا بالله من ذلك.

فهؤلاء ركزوا على الوعد وما جاء في فضل الإيمان، وما جاء في فضل عدد من الأعمال الصالحة كالصلاة وبر الوالدين ونحو ذلك، وتغافلوا عن النصوص التي فيها وعيد العصاة، كمن يشربون الخمور أو يقعون في الربا أو الزنا، فلم وعيد، فخففوا من هذه النصوص عياذا بالله.

قابلت المرجئة الوعيدية، الوعيدية هم الذين ركزوا على الوعيد، الوعيد فيه تهديد وزجر وبيان لمآل الذنوب وأهلها، وما أعد الله عز وجل لمن أجرم

من أصحاب المعاصي من الذنوب، ركزوا عليها، كأن الله ما أنزل سواها، فقنطوا الناس من رحمة الله كما هو شأن الخوارج.

الخوارج صرح كثير منهم بأن الكبيرة كفر ناقل عن الملة، وعدوا الذنوب كأنها ذنب واحد، قطعا يسهل قطع الخوارج بكلمة واحدة، وهو أن يقال للخوارج ما حد السارق شرعا؟ يقولون: قطع يده بنص القرآن، حد الزاني، ما حد شارب الخمر؟ ألهم حدود أو تنكرون حدودهم؟ يقولون: بلى، لهم حدود.

فهل فيها قتلهم، في الحدود التي أنزلها الله؟ لا، هذا دليل على ماذا؟ على أنهم غير مرتدين؛ لأن هذه المعاصي لو كانت ردة لكان حدُّها واحدًا، هو حد الردة، كلهم: الزاني الشارب السارق المرتد، يكون حكمًا واحدًا، أتدعون أن في كتاب الله أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم أن حد السارق أن يقتل، يقولون: لا تقطع يده، ثم يرسل يترك، كذلك شارب الخمر قد يعاقب بعقوبة أخرى لكن لا يقتل، على كلامكم فكل هؤلاء حدهم واحد، فهذا من أعظم ما يقطع الخوارج، إضافة إلى أنهم يقابل الخوارج بنصوص الوعد، فيقال ركزتم على نصوص الوعيد وقد أنزل الله تعالى نصوص الوعد،

وكذلك أنتم معاشر المرجئة، ركزتم على نصوص الوعد وأقد أنزل الله نصوص الوعيد، ولهذا أمر الله المؤمن بأن يكون بين الخوف والرجاء.

﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]، الرغب فيه الرجاء من رب العالمين، والرهب فيه الخوف، هذا هو المسلك الصحيح، أما أن يكون الإنسان راغبا فقط وينسى الرهبة، أو راهبا فقط وينسى الرغبة، فلا شك أن هذا من سبيل الخارجين عن السنة، المخالفين لصريح القرآن.

الطائفة الثانية من الوعيدية هم المعتزلة، والمعتزلة معجب بهم كثير من المتأخرين من الليبراليين والعلمانيين؛ لأنهم يجهلون حقيقة اعتقاد المعتزلة، هؤلاء القوم نظروا إلى المعتزلة من ناحية، وهي أن المعتزلة جريئون على رد النصوص التي تخالف اعتقادهم، وهذه الفئات الخبيثة من الليبراليين والعلمانيين وأضرابهم يريدون التملص من النصوص، فرأوا المرجئة من أكثر الطوائف التي ردت النصوص التي تخالف هواهم فأعجبوا بهم.

وجهل هؤلاء الحمقى أن المعتزلة خوارج، المعتزلة في الحقيقة خوارج، لكن الخارجي الأول ما عنده وقت لتأليف الكتب، ولا عنده وقت للمناقشة، عنده السيف يخرج به ويقاتل مباشرة، المعتزلة أهل تأليف وتصنيف، لكنهم يقررون نفس ما قرره الخوارج في أكثر من باب.

فعلى سبيل المثال يقررون في موضوع المعاصي أن صاحب الكبيرة خالد في النار، هذا قول الخوارج، وإن تفلسفوا وقالوا إنه ليس بمؤمن وليس بكافر، بل في منزلة بين المنزلتين، وهذا هراء، ما قاله أحد، كلام فارغ أحد، ما فيه شيء اسمه منزلة بين المنزلتين، إما أن يكون مسلما له أحكام المسلمين، أو يكون كافرا له أحكام الكفار، أما تأتي بمنزلة بين المنزلتين، فهذا كلام فارغ، ما قاله قبل المعتزلة أحد.

لكن لأن فيهم شعبة من الخوارج قالوا هو خالد في النار إذا لقي الله تعالى على كبيرته في الآخرة، هذا لأن فيهم هذه، الشعبة القوية الظاهرة في المعتزلة هي شعبة الخروج بالسيف، ولهذا أصحاب المقالات الذي تكلموا عن الخروج بالسيف، ومقالة الخروج بالسيف، المقصود بالخروج بالسيف على ولاة الجور من المسلمين.

قرنوا بين المعتزلة والخوارج في هذه المقالة، قالوا مقالة المعتزلة والخوارج في السيف، كلامهم واحد، أنه إذا أمكنهم الخروج على ولاة الجور فإنهم يخرجون عليهم بالقوة، ويزيلونهم بالقوة، وتضيف المعتزلة ثم نحمل الناس على القول بقولنا في العدل والتوحيد وأصولهم الفاسدة التي

يسمونها الأصول الخمسة، فمن قبل سلم، ومن لم يقبل قتلناه، نفس مقالة الخوارج، فالمعتزلة في الحقيقة خوارج.

ولهذا هم فرع من فروع الخوارج، لكنهم أهل تفلسف وأهل تأليف وأهل نقاش، أما الخارجي فهو صاحب سيف، يقاتل مباشرة.

هذه هي مقالات أهل الضلال ممن خالفوا أهل السنة.

ابن ماجة رحمه الله تعالى لو تتألم الأحاديث التي ذكرها لوجدت أنه يركز على اعتقاد أهل السنة بذكر الأحاديث، فتحتاج أن تدقق معي إن شاء الله عز وجل في سوقه للحديث، يوجد في كتب الحديث شيء من الفقه ليس بسهل، يحتاج طالب العلم أن يركز في الباب، ويربط النصوص التي أوردها المصنف على الباب، فابن ماجة يقول لك: الإيمان قول واعتقاد وعمل، يزيد وينقص، ويرد في هذا الباب على الخوارج والمعتزلة والمرجئة بنفس النصوص هذه، فتحتاج أنك تتأمل بعد توفيق الله عز وجل في هذه النصوص، والمقام طويل وعظيم الحقيقة، المقام هنا طويل يستحق أن يفرد له وقت أطول بكثير مما يعني سنخصصه، لكن نحن نسعى أيضًا في الوقت نفسه إلى أن نأخذ ما استطعنا من الأحاديث لأن الليلة إن شاء الله هي آخر ليلة في لقائنا هنا، فنحتاج أن نمر على أكبر قدر ممكن من الأحاديث.

بدأ رحمه الله تعالى بالحديث العظيم الذي فيه بيان أن الإيمان شعب، وليس شعبة واحدة، الخوارج مثلا يقولون: الإيمان شعبة واحدة، ما معنى شعبة واحدة؟ شيء واحد إما أن تأتي بالإيمان كاملا، فتكون مؤمن كامل الإيمان، وإما أن لا تأتي به كاملا فتخرج من الملة، العجيب أن هذه المقالة هي أيضًا مقالة المرجئة، فمع أن الخوارج عكس المرجئة، إلا أن المرجئة تقول أيضًا الإيمان شيء واحد، يرتفع كله فيكون الإنسان كافرا، أو يبقى كله فيكون كامل الإيمان، وليس عندهم شيء اسمه نقص إيمان ولا عند الخوارج أيضًا، وإنما هو شيء واحد.

أما أهل السنة فيقولون: هناك كمال في الإيمان، وهناك نقص في الإيمان؛ لأنه يزيد وينقص، وهو شعب وليس شيئا واحدا، فبدأ بالحديث العظيم الذي فيه الرد على الطوائف هذه كلها، طائفتي الوعيدية وطائفة المرجئة.

وهو قوله صلى الله عليه وسلم فيما ثبت عنه: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ » شعبة وهذه رواية البخاري، وفي مسلم وغيره: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ أَوْ سَبْعُونَ شُعْبَةً»، هنا رواها أيضًا بقوله: «بَابًا» وهي نفس معنى قوله: «شُعْبَةً».

وإذا كان الإيمان شعبا ابتدأنا الرد على الطائفتين جميعا، الوعيدية والمرجئية، لأنهم يقولون شيء واحد، وإما أن يوجد كاملا وإما أن يرتد

الإنسان، فيقول أكذبكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد عليكم، فقال: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ بَابًا» أو «بضع وستون شعبة»، «أَدْنَاهَا» أدنى شعب الإيمان، والمقصود بالشعبة القطعة، قطعة من الإيمان، هذا قطعة من الإيمان، فالصلاة مثلا شعبة من الإيمان، الصوم شعبة من الإيمان، قول لا إله إلا الله شعبة من الإيمان، هذا المقصود، وقد تتبع أهل العلم هذه الشعب وألفوا فيها، وسعوا إلى جمع ما ورد من النصوص في ذكر الأعمال التي أطلق عليها الشعبة.

«أَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ» يكون في الطريق أذى من شوك أو شيء يضر الناس فتُنحيه، هذا أدنى الإيمان، فدل على أن الإيمان فيه أقل وفيه أعلى، «وَأَرْفَعُهَا -وفي اللفظ الآخر: وأعلاها- قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» أعظم كلمة تقال على الإطلاق هي هذه الكلمة، كلمة التوحيد لا إله إلا الله، «وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» فدل على أن الإيمان قول واعتقاد وعمل.

قول في قوله صلى الله عليه وسلم: وأرفعها قول لا إله إلا الله»، واعتقاد لأن الاعتقاد مرتبط بالقلب فقال: «وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»، والحياء أمر قلبي، وأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى، وإماطة الأذى إذا أردت أن تميط الأذى فإنك

تميطه بجوارحك، وهذا معنى قول أهل السنة: الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح.

ثم روى الحديث هذا بسند آخر، ثم روى حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يعظ أخاه في الحياء، يعني رجل عنده شيء من الحياء، فأخوه يقول: الحياء أضر بك، فقال صلى الله عليه وسلم: «دَعْهُ؛ فإِنَّ الْحَيَاءَ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ».

الحديث الذي بعده حديث عبد الله، عندك قاعدة هنا إذا جاءك اسم عبد الله من هو هذا عبد الله؟ تعرف عبد الله هذا من الصحابة بمعرفة تلاميذه، هنا علقمة عن عبد الله، هو ابن مسعود، إذا قال سالم: عن عبد الله، هو ابن عمر، إذا قال عكرمة عن عبد الله، هو ابن عباس، وهكذا.. فيعرف الراوي من الصحابة رضي الله عنهم بتلاميذه، وعلى كل حال أيا كان عبد الله ابن عمر أو ابن مسعود أو ابن عباس، أو أي صحابي فهم العدالة رضي الله عنهم.

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ».

هنا هذا الحديث من الأحاديث التي تبادر إليك الخوارج، وتبادر إليها المرجئة، فالخوارج يقول انظر «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ» هذا يدل على أن الكبر كفر، ولذلك لم يدخل الجنة، يقال له: أكمل الحديث: «وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ»، فيرفض آخر الحديث ويستمسك بأوله؛ لأنه صاحب هوى.

المرجئة تأتي لآخر الحديث، تقول أرأيت عظم شأن الإيمان وأن أصحابه وإن فعلوا المعاصي لا تضرهم: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ» ما دام فيه مثقال حبة خردل من إيمان لن يدخل النار، نقول أول الحديث: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ»، فيفرون من هذه الجملة إلى الجملة الثانية؛ لأن صاحب الهوى هذا فعله، ينظر فيما وافق هواه، أهل السنة يجمعون ولله الحمد النصوص.

الكبر عياذا بالله والمراد به بطر الحق كما وضحه صلى الله عليه وسلم وغمط الناس، بطر الحق أي رد الحق، وغمط الناس احتقارهم.

أمر خطير جدا على الإنسان والشيء اليسير منه عياذا بالله قد يكون سببا في دخول النار، لكن هل كل متكبر يدخل النار؟ ماذا يقول أهل السنة؟ يقولون: عندنا الآية الجامعة ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فقد يغفر الله له كما قد يغفر لصاحب الزنا، لصاحب الخمر، فيقولون: هو تحت مشيئة الله، بنص القرآن، ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ ما دون الشرك، ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾.

فالأمر راجع إلى مشيئة الله، لكن هل يستحق الوعيد؟ من حيث العموم يستحق الوعيد، لكن لو مات إنسان متكبر نقول من أهل النار، لا ما نجزم عليه، لكن نقول يخاف عليه أن يكون من أهل النار.

وهذا يدل أيها الإخوة على خطر الكبر، ولهذا أخبر صلى الله عليه وسلم أن المتكبرين يحشرون يوم القيامة أمثال الذر عياذا بالله، الذر هو النمل الصغير هذا الأحمر، يطأهم الناس بأقدامهم، المتكبر هذا الذي تعاظم وترفع يعاقب هذا العقاب، فيقال: هذا خطير على الإنسان، كما أن الربا خطير على الإنسان، الزنا خطير على الإنسان، شرب الخمر خطير على الإنسان، معرض للوعيد معرض لدخول النار، لكن نقول ذلك كله إذا كان من الموحدين، راجع لمشيئة الله، ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾.

«ولَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ» أيضًا يرد هذا إلى بقية النصوص، يجمع النص هذا مع بقية النصوص الدالة على أن النار قد يدخلها الموحد، لكن هذا فيه بشارة للموحدين بعظم قدر الإيمان، وأن الله تعالى قد يجعل إيمان العبد سببا في أن يسلم من عذاب النار، لكن هل هو معرض للوعيد؟ نقول اقرأ أول الحديث وتعرف معناه، «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ»، طيب فالزاني والسارق وقاطع الطريق وعاق والديه من باب أولى أنهم معرضون للوعيد، ولهذا يقول أهل العلم نجمع بين النصوص ونجمع الوعد والوعيد، فيجمعون النصوص، ليس في هذه النصوص ولله الحمد أي إشكال، فيه دلالة على خطر الكبر، وفي الحديث دلالة على عظم قدر الإيمان معا.

فيؤدي ذلك إلى خوفك من الكبر، وفي الوقت نفسه يعظم ذلك شأن الإيمان والتوحيد والحرص على تحقيقه، فيجمع المسلم بين هذه النصوص، ولهذا لما ذُكر لابن عمر رضي الله عنهما حديث فيه البشارة قال رضي الله عنهما: (عش ولا تغتر) لا تغتر إذا جاءك حديث فيه فضل لعمل من الأعمال وقمت به، إياك والاغترار؛ لأنه لابد أن تلاحظ في ذلك أمر أن

الله تعالى لا بد أن يقبل عملك أولا ولا تدري بأي شيء يختم لك، ونحو ذلك من الأمور التي تجعل المسلم بين الخوف والرجاء.

الحديث الذي بعده ماذا يريد به ابن ماجة؟ يريد يا إخوة الرد على الخوارج أو على من في هذا الحديث؟ الحديث الآن ما مقصده منه، على الخوارج ولا لا؟ وعلى المرجئة، لاحظ هذه النصوص العظيمة فيها رد على الخوارج وعلى المرجئة، المرجئة الذين يقولون لا يضر مع المعصية إيمان، يقال انظر ماذا فعل المعصية بأصحابها أدخلتهم النار، حتى احتاجوا أن يشفع فيهم، والخارجي الذي يقول إن أصحاب الكبائر هؤلاء يخلدون في النار، يقال انظر إلى هذا الحديث فيه أن أصحاب هذه الكبائر يخرجون من النار.

ولهذه نصوص الشفاعة الواردة في القرآن وفي السنة لا ترد على الخوارج فقط، ترد حتى على المرجئة؛ لأن المرجئة الذين يسهلون من أمر المعاصي يقال لهم هذه الذنوب أوبقت أهلها حتى أدخلتهم النار فاحتاجوا إلى الشفاعة، ويقال للخارجي هذا الكلام منك في المبالغة في الكبيرة حتى جعلت الكبيرة والردة سواء، انظر إلى الفرق بين الموحدين من أصحاب الكبائر وبين الكفار من أهل النار.

في هذا الحديث أن الله إذا خلص المؤمنين من النار وأمنوا واطمأنوا وجاءتهم البشارة، تذكروا إخوانهم ممن كانوا معهم، هنا قوله: «فَمَا مُجَادَلَةُ أَحَدِكُمْ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَقِّ يَكُونُ لَهُ فِي الدُّنْيَا أَشَدَّ مُجَادَلَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ فِي إِخْوَانِهِمْ» هذه المجادلة أذن الله فيها، يعني أنهم يلحون على رب العالمين كأنه نوع من الدعاء والإلحاح، والإكثار من سؤال الله أن يخلص إخوانهم ويقولون: «كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا وَيَصُومُونَ مَعَنَا وَيَحُجُّونَ مَعَنَا فَأَدْخَلْتَهُمُ النَّارَ». فالله يأذن بالشفاعة بعد حين، لا يأذن بالشفاعة مباشرة سبحانه؛ لأن هناك من يبقى في النار عياذا بالله من أصحاب الكبائر مدة لا يؤذن فيها بالشفاعة لهم، يدخلون النار ما شاء الله أن يدخلوها.

ثم هم عياذا بالله نعوذ بالله من النار، يكونون على أحوال، جميع الموحدين أكرم الله تعالى الموحدين وأكرم الصلاة، بأن النار لا تأكل صور الموحدين، كانوا يسجدون لله عز وجل، فحرم الله على النار أن تأكل وجوه ومواضع سجود الموحدين، حرم الله على النار أن تأكل مواضع السجود من ابن آدم.

والذي يظهر والله أعلم أن المقصود الصور تحديدا الوجه، أما مواضع السجود مثل اليدين ومثل القدمين، فالذي يظهر والله أعلم أنها تعذب عياذا بالله بدلالة هذا الحديث نفسه الذي معنا.

هنا يقول في الحديث: «لَا تَأْكُلُ النَّارُ صُوَرَهُمْ» الصورة في الوجه، لكن عياذا بالله لأنهم متفاوتون في الذنوب، منهم من تأخذه النار إلى أنصاف ساقيه، وكونه تأخذه إلى نصف ساقيه معناه أنه يعذب في موضع قدميه، وفيه الحديث: «مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فَهُوَ فِي النَّارِ»، ففيه دلالة والله أعلم على أنه يعذب سوى موضع الصورة منه.

فلما كانت أصحاب الكبائر تتفاوت ذنوبهم، صار عذابهم على حسبهم، منهم عياذا بالله من تأخذه النار إلى كعبيه فقط، «فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ النَّارُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ» وهؤلاء عياذا بالله عذابهم أشد لأنه وصل إلى نصف الساقين، «وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى كَعْبَيْهِ» وهم أقل عذابا من الأولين، «فَيُخْرِجُونَهُمْ فَيَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرَجْنَا مَنْ قَدْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ دِينَارٍ مِنَ الْإِيمَانِ» الدينار أثقل من الدرهم، الدينار من ذهب كما تقدم، «ثُمَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ نِصْفِ دِينَارٍ، ثُمَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ»، ثم قرأ أَبُو سَعِيدٍ ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾.

في هذا الحديث رد عظيم جدا على المرجئة، الذين يقولون إن الإيمان في القلب متماثل، وإن إيمان أي أحد من العصاة الموحدين كإيمان جبريل وميكائيل وكإيمان محمد صلى الله عليه وسلم والأنبياء، وهذا باطل.

انظر إلى الإيمان الذي ليس منه إلا نصف الدينار، والإيمان الذي ليس منه إلا مثقال حبة خردل من إيمان في القلب فقط، أيكون هذا عياذا بالله مثل إيمان محمد صلى الله عليه وسلم؟ ما يقول هذا إلا إنسان قد أطلق عبارة بشعة فظيعة.

محمد صلى الله عليه وسلم الإيمان في قلبه أعظم وأرسى وأرسخ من الجبال، فهل يقال إن هذا الذي ليس في قلبه إلا مثقال حبة من خردل إيمانه كإيمان محمد، كلمة بشعة عظيمة جدا، ولهذا كان أبو وائل أو عمرو بن ميمون من السلف يناظر مرجئا، فبينما هم كذلك إذ امرأة قد ارتفع صوتها تغني، فقال أبو وائل للمرجئ: أتقول إن إيمان هذه مثل إيمان مريم بنت عمران، فسكت المرجئ ولم يستطع الجواب، يعني هذه مجاهرة بالغناء والأمر المحرم، يقول على كلامك الآن هذه ومريم بنت عمران سواء، التي أخبر تعالى أنه فضلها على نساء العالمين، فقام المرجئ من المجلس ولم يستطع المناقشة، هذه مقالة باطلة لا شك في هذا.

فرد ابن ماجة رحمه الله تعالى عليهم بهذا الحديث، ثم أتبعه بحديث جندب رضي الله تعالى عنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، الحزاورة جمع الحزور وهو الغلام إذا اشتد وقوي، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، أمر عظيم أن يقر الإيمان في القلب قبل أن يتعلم الإنسان العلم؛ إذ هو آت من كفر وجاهلية، فيعلم الإيمان حتى يرسخ الإيمان في قلبه، بعد ذلك يتعلم القرآن، لهذا قال: تَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا.

فيه الرد على المرجئة وعلى الوعيدية جميعا لأن الجميع جميع الطوائف هذه تقول الإيمان لا يزيد ولا ينقص وهذا تصريحه رضي الله عنه بأن الإيمان يزيد وينقص.

أما حديث «صِنْفَانِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَيْسَ لَهُمَا فِي الْإِسْلَامِ نَصِيبٌ» فهو ضعيف.

ثم ذكر الحديث المشهور حديث عمر وهو أيضًا ورد من حديث أبي هريرة رضي الله عنهما في الذي أتى للصحابة رضي الله عنهم وهم جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الهيئة شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان

والإحسان، فأخبره أن الإسلام هو هذه الأعمال الخمسة، والإيمان هو هذه الأركان الستة، وذلك أن الإسلام والإيمان عندنا فيهما قاعدة: إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا، ما معنى ذلك؟

النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الإسلام والإيمان، ذكر أن الإسلام هو الأعمال الظاهرة، وهي الأركان هذه المذكورة في الحديث، الإيمان ذكر أنه متعلق بالقلب من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، لا شك أن من عنده الإيمان لا بد أن يكون عنده عمل، أما لو قال سأؤمن بهذه الأمور ولن أعمل فإنه لا يكون في هذه الحالة لا مسلما ولا مؤمنا؛ لأن الإيمان كما قال الشافعي رحمه الله بإجماع الصحابة والتابعين قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد منها عن الآخر، لا بد منها جميعا.

ولأجل ذلك في حديث وفد عبد القيس، حديث وفد عبد القيس، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «آمُرُكُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ، أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ؟»، يقول ابن عباس: ثم فسرها لهم، وقال في بيان الإيمان بالله: شهادة أن إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا الخمس من المغنم، فجعل الإيمان أعمالا لأنه لا بد من أعمال، أما أن يقول يكفيني أن أعتقد في قلبي ولا أعمل، فيقال في هذه الحل لا تكون مؤمنا ولا

مسلما، لا بد من العمل، والعمل ليس سواء، بل هو كما رأيت أدناها إماطة الأذى عن الطريق، لو أنك مررت بأذى في الطريق ولم تزله، ما يضرك؛ لأن إزالة الأذى عن الطريق ليست أمرا واجبا متحتما عليك، لكن إذا أزلته زدت إيمانا، هذا المراد.

وهكذا النوافل، وما يتعلق بالأمور التي لا تلزم هي من الإيمان لا شك، إذا فعلتها زدت إيمانا، الحاصل أن في هذا الحديث بيان الإسلام والإيمان والإحسان.

في الإحسان بين أنه: أن تعبد الله كأنك تراه، كأنك ترى رب العالمين، ولا شك أنه لن يرى أحد ربه حتى يموت كما في الحديث الصحيح، «وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَنْ يَرَى رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ».

لكن لو أنك عبدت الله كأنك تراه، لكنت على أكمل ما يكون من الخشوع واستحضار القلب، هذه درجة عليا، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، تستحضر أن الله تعالى يراك، فمن كان موفقا لبلوغ هذه الدرجة فهي أعلى درجات الإيمان على الإطلاق وهي درجة المحسنين، الذين يعبدون الله تعالى على المراقبة، إن خلوا بالمعاصي لم ينتهكوها، لأنهم يعلمون أن الله يراهم، إن خلوا وصاروا في بلد لا يعرفون فيه أدوا ما أوجب الله؛ لأنهم

يعلمون أن الله يراهم، فهذه الدرجة العظمى العليا من الدرجات تكون للكمل من المؤمنين، فيه دلالة على أن الإيمان يزيد وينقص، فالدرجة العالية هذه ما كل أحد يصل إليها والله المستعان.

ثم ذكر أنه سأله عن أشراط الساعة، فبين له أن المسؤول وهو رسول الله، وليس أعلم من السائل وهو جبريل، يعني لا أعلمها لا أنا ولا أنت، قال: فما أماراتها؟ أي علامات تأتي قبل الساعة، فذكر منها «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا» وتكلم العلماء في المراد به، والذي يظهر والله أعلم أن المراد أن الناس تفتح لهم الفتوح، فتكثر عندهم السبايا من النساء، فيطأ الرجل الذي هو السيد، يطأ أمته فتلد لهذا السيد ابنا، هذا الابن قد يكون سيدا، قد يكون سواء فيما يتعلق بخصوص كونه ابن سيد، وقد يكون في بعض الأحيان أميرا أو نحوه، فيكون سيدا.

«وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ»، الحفاة الذين بلا نعال، العراة الذين بلا ثياب، من الفقر يعني، العالة وهم الفقراء، رعاء الشاء وهذا وصف من؟ وصف العرب، «يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبِنَاءِ» يعني أنه سيصل بهم الحال إلى الغنى والثروة بحيث لا يكتفون بالبناء بل ينافس بعضهم بعضا في البناء، فإذا بنى بناء سعى منافس إلى أن يبني بناء أطول منه.

فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عمر بعد ثلاث: «أَتَدْرِي مَنِ الرَّجُلُ؟»، فقال: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذَاكَ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ مَعَالِمَ دِينِكُمْ»، فدل على أن كل هذه من الدين، فكيف تخرج الأعمال من الإيمان وهي من الدين، هذه فيه دلالة في الرد عليهم، «أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ مَعَالِمَ» وفي لفظ «أَمْرَ دِينِكُمْ».

الأعمال هذه كيف يقال أنها ليست من الدين، ثم العجب من المرجئة سبحان الله العظيم في إخراج العمل من الإيمان، مع قول النبي صلى الله عليه وسلم: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ»، نصف الإيمان، هل فيه شيء يخرج من نصفه، شطر الإيمان يعني نصف الإيمان، فالشيء الذي هو نصف كيف يقال إنه ليس من الإيمان، هو شطر الإيمان، «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ» يعني نصف الإيمان.

في الحديث الثاني الذي يرويه أبو هريرة، هذا الحديث يرويه عمر، الحديث الثاني يرويه أبو هريرة رضي الله عنه، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم سأله هذا الرجل وهو جبريل عن الإيمان وعن الإسلام، وذكر أيضًا له أشراط الساعة.

في الحديثين فائدة مهمة جدا، من أعظم الفوائد، وقد اعتنى بالموضوع هذا الإمام مسلم رحمه الله تعالى غاية العناية، وهو بيان معنى لا إله إلا الله.

أين نجد بيان معنى لا إله إلا الله في الحديثين؟

لاحظ في حديث عمر: ما الإسلام، قال: شهادة أن لا إله إلا الله، في حديث أبي هريرة: ما الإسلام؟ ماذا قال؟ «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ» فهذا يدل على ماذا؟ على أن لا إله إلا الله هذا معناها، لا إله إلا الله لا معبود حق إلا الله، عبادة الله وعدم الشرك، ففي حديث أبي هريرة أنه قال: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا» هذا هو الإسلام، وهذه هي كلمة التوحيد، ثم قال: «وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ»، في حديث عمر بين أن الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله، إذن ما معنى لا إله إلا الله، أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا.

وقد اعتنى بهذا الإمام مسلم رحمة الله تعالى عليه عناية عظيمة جدا جدا، في كتاب الإيمان، وأوضح الروايات التي جاءت مثل: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، ثم ترد بلفظ آخر فيه أن الإسلام بني على خمس أن يعبد الله ولا يشرك به، وهكذا حديث وفد عبد القيس، أتدرون ما الإيمان، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» ثم يأتي برواية أخرى فيها بيان أن لا إله إلا الله معناه عبادة الله وحده لا شريك له.

ولم يتكلم مسلم ولم يقل هذا معناه، ولم يبوب ولا شيء، لكن قال اقرأ يا طالب العلم وتفقه في حديث نبيك صلى الله عليه وسلم.

هذا الحديث حديث أبي هريرة مع حديث عمر وهكذا حديث ابن عمر: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ» وهكذا حديث ابن عباس في سؤال النبي صلى الله عليه وسلم وفد عبد القيس عن الإيمان، مهمة جدا في بيان معنى كلمة التوحيد، فإذا قال أحد ما معنى كلمة التوحيد؟ تقول: تعال، أنا أدلك على كلمة التوحيد من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، بهذه النصوص، وهي مبينة قطعا في كتاب الله، يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً﴾ [الزخرف: ٢٦- ٢٨]، الكلمة هذه هي لا إله إلا الله ﴿بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ هي لا إله، ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ هي إلا الله، ﴿بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ معنى أن لا إله معناها أني أبرأ من المعبودات إلا الله سبحانه وتعالى.

وهذا أمر يعرفه حتى الكفار في معنى لا إله إلا الله، ولهذا ردوها رد العارف بها، فقال عز وجل: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦]، لأنهم علموا أن لا إله إلا الله لا بد أن ترك فيها المعبودات.

وهكذا قال قوم هود لهود، لما قال: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥]، ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ هي لا إله إلا الله، ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ﴾ لا إله، ﴿غَيْرُهُ﴾ إلا الله، ماذا قالوا له؟ ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠]، ففهموا أن معنى لا إله إلا الله أن يفردوا الله بالعبادة وأن يتركوا ما كانوا يعبدون، وهذا معنى لا إله إلا الله، وهنا هذا المعنى في الحديثين جلي واضح.

في حديث عمر ما الإسلام؟ قال: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» في حديث أبي هريرة ما الإسلام؟ «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا».

ولهذا قلنا يا إخوة فقه الأحاديث أعظم الفقه على الإطلاق، فقه القرآن نصوص القرآن ونصوص السنة أعظم فقه، لن يكون هناك فقهٌ أعظم منه؛ لأن هذا فقه كلام الله وفقه كلام رسوله صلى الله عليه وسلم.

مزية هذا الحديث الآن لو نقلته لأحد ممن يخاصمك ويقول لك أنت تقول بكلام فلان أو بكلام العلماء، تقول أنا أقول بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، انظر الآن هذا تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم.

أما الحديث هذا الذي فيه أبو الصلت وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ» هذا ضعيف، وإن كان المعنى هذا صحيح، الإيمان في القلب وفي اللسان.

أما قوله: لَوْ قُرِئَ هَذَا الْإِسْنَادُ -لأن فيه يعني هؤلاء من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم- عَلَى مَجْنُونٍ لَبَرَأَ، فهذا كلام فارغ لا شك، تأتي تقول مثلا علي بن الحسين عن الحسين عن علي يبرأ، هذا كلام غير صحيح، ولا يشرع في الرقيا أصلا هذا، لكن هذا لأنه شيعي، الراوي، فقال: لَوْ قُرِئَ هَذَا الْإِسْنَادُ عَلَى مَجْنُونٍ لَبَرَأَ، وهذا غير صحيح، رقية المجنون لا تكون .. ولا غير المجنون.. رقية المريض إذا أردنا أن نرقيه بالقرآن وبالسنة لا بأسماء أناس، وإلا لكان ذكر اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى، وعندك مثلا لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أكرم الناس، قال: «يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ»، يوسف ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله، فلو كانت المسألة أسماء لكانت هذه أسماء أنبياء، فالحاصل هذه العبارة عبارة لا معنى لها، والحديث على كل حال ضعيف، متفق على أن الحديث هذا ضعيف.

...

لا ليس من الشيعي، حتى لو كان شيعيًّا، إذا كان صدوق اللسان فإنه يروون حديثه.

في حديث أنس أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ أَوْ قَالَ لِجَارِهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

هذا الحديث العظيم وحديث «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»، فيه مسألة عظيمة ترد على طوائف الضلال الذي يقول الإيمان لا يزيد ولا ينقص، انظر يا أخي تأمل هذا الحديث في خاصة نفسي وفي خاصة نفسك، من هو منا الذي يحب لأخيه نفس ما يحب لنفسه، ما أقل الناس الذين يفعلون هذا، والذي يقول إن الناس كلهم على هذا، لا، لم يعرف الناس، النفوس كما قال تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨]، فالذي يحب لأخيه أو لجاره ما يحب لنفسه تماما من الخير في نفسه في ذريته في دينه في دنياه درجة كاملة عليا عظيمة، هذا معنى كون الإيمان يزيد، ولو كان هذا الأمر من لم يفعله لكفر، لكفر أكثر الناس، أليس كذلك؟

«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ» لو كان المعنى أنه يكفر على قول الخوارج، الخوارج ماذا تفعل، إذا رأت حديث «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ» قال كافر، لو كان الأمر كذلك

والله المستعان لرأيت طلاب العلم الآن، الذين هم زبدة المسلمين وأحسن من في المسلمين أهل العلم، من هو الذي يطبق منهم هذا الحديث، القلة القليلة الذي يحب لأخيه، لاحظ العبادة، ما يحب لنفسه.

النفوس تحب أن تنفرد دائما، وهذه آفة في النفوس، حتى أعطيك مثالا وكثير منك طلاب، لو تتأمل نفسك إلا إذا قصرتها على أمر الله، لوجدت أنك تحب أن تكون الوحيد في الشعبة الذي أخذ يسمونه (+أ) صحيح، حقيقة، طيب ماذا يضرك إذا أخذ أخوك (+أ) ما يضرك شيء، لكن النفس كذا تحب أن تضر سبحان الله، فالذي يقصر نفسه ويرغمها ويلزمها أن أحب لأخي ما أحب لنفسي هم القلة القليلة.

أما موضوع يعني الثراء وصلاح الذرية وبقية الأمور يحب أن يكون في العلم أخي هذا يعلم مثل ما أعلم ذريته يهديها الله مثل ما هدى الله ذريتي، لا هو يحب أن تكون ذريته دائما أميز من ذرية غيره، إذا أصلح الله ذريتك ما يضرك أن يكون أخوك له ذرية صالحة، رزق الله واسع يشملك ويشمل ذريتك ويشمل إخوتك، فانظر هذا الحديث الذي يوضح لك كون الإيمان يزيد وينقص، إذا قيل الإيمان لا يزيد ولا ينقص يكون الأمر خطيرًا جدا، ما معناه؟ أن هذا يكفر «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»،

وإذا قلت «لِأَخِيهِ» ما معناه؟ كل مسلم على وجه الأرض، ليس أخوك زميلك في الدراسة أو في العمل، كل مسلم على وجه الأرض تتمنى أن يأتيه من الخير مثل ما أتاك تماما، وأن يدفع عنه من الشر مثل ما يدفع عنك، في نفسك وفي ذريتك، في دينك وفي دنياك، درجة عليا، لا يصلها إلا من أصلح له قلبه وزكى نفسه وطهرها.

لذلك الإيمان يزيد وينقص، إذا قلت لا يزيد ولا ينقص خطير هذا الكلام، يعني «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ» يعني كل هؤلاء لا يؤمنون، ولهذا في الحديث بعده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ»، أما كون رسول الله صلى الله عليه وسلم محبوبا عند كل مسلم فهذا أمر لا نقاش فيه، حتى قاطع الطريق، حتى شارب الخمر، حتى عاق والديه، لا شك أنه يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما دام من المسلمين، فأصل حب الرسول صلى الله عليه وسلم موجود في نفس كل مسلم، لكن انظر الحديث «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»، بحيث لا يبقى أحد يتقدم في المحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا من والدك ولا من ولدك ولا من الناس أجمعين، حتى يأتيك هذا الحديث العظيم: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ

نَفْسِهِ»، الحديث صحيح في البخاري، فقال عمر لأن عمر صريح وواضح وليس مثل ما يقول بعض الناس: لا هو أحب إلي من نفسي، ثم إذا قيل هذه سنته ناقش ونازع، قال: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي؛ لأنه صريح وواضح، فقال يا عمر: «حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»، فقال: هو الآن يا رسول الله، والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال: «الْآنَ يَا عُمَرُ».

فدل على أن مقامات الإيمان العليا الكبار التي بها الزيادة التي هي درجة الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، بحيث تراقب ربك في قلبك وفي لسانك وفي عينك وفي سمعك وفي جوارحك هذه درجة عليا، فلو كان لا يؤمن سوى هذا لكان أكثر من على وجه الأرض من المسلمين كفارا، وهذا باطل، وهو مقتضى قول الخوارج الجهلة السفهاء.

لذلك علمنا أن الإيمان إن لم تقل إنه يزيد وينقص واجهتك هذه النصوص، يعني إذا قيل لا يؤمن هل المقصود لا يؤمن أصل الإيمان، إذا قيل أصل الإيمان معناه أنه يكفر، كأن نقول لا يؤمن بالله من يجحد اليوم الآخر، صحيح لأن أصل الإيمان هذا ليس موجودا عنده، لكن مثل هذه النصوص «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» ليس

المقصود بها أصل إيمانك، نقول هذه معصية قلبية، لم تستطع أن تصل إلى الدرجة التي تحب لأخيك ما تحب لنفسك فأنت عاصي كما أنك تعصي مثلا ببصرك أو تعصي بيدك، أو تعصي بلسانك، عصيت بقلبك هذا المعنى، فتكون هذه معصية لا تخرجك من الإيمان؛ لأن الإيمان يزيد وينقص، فنقص إيمانك، هذا المعنى.

انظر طريقة ابن ماجة رحمه الله تعالى في الرد، يتدرج في إظهار هذه النصوص العظيمة وبيانها وتوضيحها لمن أراد معرفة الحق، فإذا قرأها خارجي إذا قرأها مرجئي اتضح له الحق من نفس النصوص، ولم يتكلم ابن ماجة بكلمة، إلا بقوله باب في الإيمان، يكفي؛ لأنه يقول هذه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هنا الحديث الذي بعده: «لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا» يستحيل أن تدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، الذي ليس بمؤمن يلقى الله كافرا فإنه لا يدخل الجنة مطلقا، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

آمنا وأسلمنا، بقي شيء، «وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا» تحب أخاك هذا المسلم أيا كان موضعه، أيا كان لونه، أيا كان لسانه، أيا كان حاله، تحبه

لإسلامه، «وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا»، طيب إذا وجدت الضغينة والبغضاء، يكفرون؟ لا، لا تؤمنوا الكمال من الإيمان، هذا المعنى؛ لأن الإيمان يزيد وينقص.

«أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» من الأمور التي تجعل المحبة فاشية منتشرة بين المسلمين: أن يلقي بعضهم على بعض السلام، وهذا أمر عظيم وهو من حقوق المسلم على أخيه، فإذا مررت بأخيك وقال: السلام عليك، سبحان الله العظيم يقع في قلبك من محبة أخيك هذا الذي ألقى السلام عليك ما لم يخفى على أحد، ولهذا قال: «أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ»، أما لو أتاك شخص ويريد أن يسأل عن طريق أو عن مكان، فقال: أين الطريق الفلاني؟ سبحان الله تستوحش من هذا الشخص، لم يلق عليه السلام وأنا أخوه المسلم، لكن لو قال: السلام عليكم، تقول: وعليكم السلام، فقال: أين الموضع أين الطريق أين المكان الفلاني، تجد أنك تهش له وتميل له أكثر، أحببته لأنه إذا ألقى عليك السلام أحببته.

الحديث الذي بعده أورده رحمه الله تعالى أيضًا لبيان حقيقة قول أهل السنة في مثل هذه النصوص وردا على أهل الباطل، «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ»

إذا سببت أخاك المسلم بالكلام القبيح فهذا فسق، ولا يحل لمسلم أن يسب أخاه المسلم، فإن فعل فهذا فسق منه، «وَقِتَالُهُ» القتال درجة أسوأ، «وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»، يفرح الخارجي مباشرة بهذا الحديث، ويقول أرأيت القتال كفر، فيقال الكفر في هذه النصوص يطلق ويراد به تارة الكفر الأكبر، وتارة يطلق ويراد به الكفر الأصغر، فإذا قال ما الدليل على أن القتال يراد به هنا الكفر الأصغر، نقول القرآن، قال الله عز وجل: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيكُمْ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠]، فسماهم الله بالمؤمنين وبين أنهم إخوة، وإذا كانوا أخوة ومؤمنون فقتاله كفر لا يعني أنهم كفار مرتدون؛ لأنه وقع القتال وسموا بالمؤمنين، وهذا قول أهل السنة: تجمع النصوص، فأهل السنة يجمعون النصوص.

صاحب الهوى كما قلنا في الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها في بيانهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ الآية ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ [آل عمران: ٧]، هؤلاء يأتون إلى نص مثل هذا النص وحده ويأخذونه، النص هذا من النصوص المتشابه، قتاله كفر، يحتمل أن يكون المراد به الكفر الأكبر، ويحتمل أن يكون المراد به الكفر الأصغر، ماذا نفعل؟ نرده إلى النصوص المحكمة، كالنص الذي

قرأناه الآن، فدل على أن القتال لا يكون ردة؛ لأن الله سمى المتقاتلين جميعا بالمؤمنين وبالإخوة، وهكذا بقية النصوص التي من هذا القبيل.

ذكر حديث:

«مَنْ فَارَقَ الدُّنْيَا عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَعِبَادَتِهِ لَا شَرِيكَ لَهُ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ مَاتَ وَاللهُ عَنْهُ رَاضٍ»، وقد يكون في سنده بعض الشيء، في سنده ضعف، ومعناه من حيث العموم صحيح.

والحديث الذي بعده: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» هو حديث صحيح ثابت عن النبي عليه الصلاة والسلام، فيه بيان أن من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأقام الصلاة وآتى الزكاة فإنه يكف عن قتاله وحسابه على الله عز وجل، وفيه دلالة على أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة، وأن الناس يقاتلون حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله أو أن يدفعوا الجزية في حال قوة المسلمين قطعا على ذلك، فهذا هو الأصل لهذا الجهاد ماض إلى قيام الساعة لكن يكون وَفْقَ راية وتحت نظر حاكم شرعي فلا ينهضُوا هكذا الناس بأنفسهم ويقرروا أن يجاهدوا؛ لأنه لا بد أن ينظر في المصالح والمفاسد، وأما كون الجهاد ماضيا إلى قيام الساعة فهذا لا شك فيه وأنه يكون مع الحكام بررة كانوا أو فجارا، ولهذا قال صلى الله عليه

وسلم: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ»، في اللفظ الآخر: «فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ».

الحديث الذي بعده: «صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَيْسَ لَهُمَا فِي الْإِسْلَامِ نَصِيبٌ» فيه ضعف أيضًا، لكن أراد ابن ماجة رحمه الله تعالى الرد على هاتين الطائفتين من أهل الإرجاء ومن أهل القدر، وهكذا كون الإيمان يزيد وينقص هذا قلنا أنه كثير وورد يعني كثيرا عن الصحابة وعن التابعين أن الإيمان يزيد وينقص.

{أحسن الله إليكم..

قال رحمه الله تعالى:

## بَاب فِي الْقَدَرِ

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قال: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ وَمُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ ح وَحَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ الرَّقِّيُّ قال: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ: «يُجْمَعُ خَلْقُ أَحَدِكُمْ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ

يَبْعَثُ اللهُ إِلَيْهِ الْمَلَكَ فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَيَقُولُ اكْتُبْ عَمَلَهُ وَأَجَلَهُ وَرِزْقَهُ وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا».

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قال: حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سِنَانٍ عَنْ وَهْبِ بْنِ خَالِدٍ الْحِمْصِيِّ عَنْ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ: وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ، خَشِيتُ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيَّ دِينِي وَأَمْرِي فَأَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ أَبَا الْمُنْذِرِ إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي قلبي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ فَخَشِيتُ عَلَى دِينِي وَأَمْرِي فَحَدِّثْنِي مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ، فَقَالَ: لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا أَوْ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا قُبِلَ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، فَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّكَ إِنْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ، وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ أَخِي عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَتَسْأَلَهُ، فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ فَسَأَلْتُهُ فَذَكَرَ مِثْلَ مَا قَالَ أُبَيٌّ، وَقَالَ لِي: وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ حُذَيْفَةَ

فَأَتَيْتُ حُذَيْفَةَ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالَا، وَقَالَ: ائْتِ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَاسْأَلْهُ، فَأَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا أَوْ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ، فَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّكَ إِنْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ».

حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قال: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ح وَحَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قال: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ وَوَكِيعٌ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِيَدِهِ عُودٌ فَنَكَتَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ» قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ قَالَ: «لَا اعْمَلُوا وَلَا تَتَّكِلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾.

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّنَافِسِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ إِدْرِيسَ عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، فَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».

حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ وَيَعْقُوبُ بْنُ حُمَيْدِ بْنِ كَاسِبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ أنه سَمِعَ طَاوُسًا يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يُخْبِرُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَام، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ بِذَنْبِكَ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى ثَلَاثًا».

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ زُرَارَةَ قال: حَدَّثَنَا شَرِيكٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ رِبْعِيٍّ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ

عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: بِاللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْقَدَرِ».

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ قال: حَدَّثَنَا طَلْحَةُ بْنُ يَحْيَى بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ عَنْ عَمَّتِهِ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ دُعِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جِنَازَةِ غُلَامٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ طُوبَى لِهَذَا عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ لَمْ يَعْمَلِ السُّوءَ وَلَمْ يُدْرِكْهُ، قَالَ: «أَوَ غَيْرُ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ».

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ قال: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عَنْ زِيَادِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْمَخْزُومِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَّادِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ يُخَاصِمُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقَدَرِ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قال: حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قال: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عُثْمَانَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ قال: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ

عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَذَكَرَ لَهَا شَيْئًا مِنَ الْقَدَرِ، فَقَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ تَكَلَّمَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقَدَرِ سُئِلَ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ لَمْ يُسْأَلْ عَنْهُ». قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْقَطَّانُ حَدَّثَنَاهُ حَازِمُ بْنُ يَحْيَى قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شَيْبَانَ قال: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عُثْمَانَ فَذَكَرَ نَحْوَهُ.

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قال: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ يَخْتَصِمُونَ فِي الْقَدَرِ، فَكَأَنَّمَا يُفْقَأُ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ مِنَ الْغَضَبِ، فَقَالَ: «بِهَذَا أُمِرْتُمْ أَمْ لِهَذَا خُلِقْتُمْ تَضْرِبُونَ الْقُرْآنَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ بِهَذَا هَلَكَتِ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ»، قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو: مَا غَبَطْتُ نَفْسِي بِمَجْلِسٍ تَخَلَّفْتُ فِيهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا غَبَطْتُ نَفْسِي بِذَلِكَ الْمَجْلِسِ وَتَخَلُّفِي عَنْهُ.

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي حَيَّةَ أَبُو جَنَابٍ الْكَلْبِيُّ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَلَا هَامَةَ» فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ أَعْرَابِيٌّ

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ الْبَعِيرَ يَكُونُ بِهِ الْجَرَبُ فَيُجْرِبُ الْإِبِلَ كُلَّهَا، قَالَ: «ذَلِكُمُ الْقَدَرُ، فَمَنْ أَجْرَبَ الْأَوَّلَ».

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عِيسَى الْجَرَّارُ عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ أَبِي الْمُسَاوِرِ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ عَدِيُّ ابْنُ حَاتِمٍ الْكُوفَةَ أَتَيْنَاهُ فِي نَفَرٍ مِنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَقُلْنَا لَهُ: حَدِّثْنَا مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا عَدِيَّ ابْنَ حَاتِمٍ أَسْلِمْ تَسْلَمْ»، قُلْتُ وَمَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، وَتُؤْمِنُ بِالْأَقْدَارِ كُلِّهَا خَيْرِهَا وَشَرِّهَا حُلْوِهَا وَمُرِّهَا».

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ يَزِيدَ الرِّقَاشِيِّ عَنْ غُنَيْمِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْقَلْبِ مَثَلُ الرِّيشَةِ تُقَلِّبُهَا الرِّيَاحُ بِفَلَاةٍ».

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِي يَعْلَى عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي جَارِيَةً أَعْزِلُ عَنْهَا، قَالَ: «سَيَأْتِيهَا مَا قُدِّرَ

لَهَا»، فَأَتَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ: قَدْ حَمَلَتِ الْجَارِيَةُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا قُدِّرَ لِنَفْسٍ شَيْءٌ إِلَّا هِيَ كَائِنَةٌ».

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عِيسَى عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ، وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِخَطِيئَةٍ يَعْمَلُهَا».

حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَطَاءُ بْنُ مُسْلِمٍ الْخَفَّافُ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ سُرَاقَةَ بْنِ جُعْشُمٍ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ الْعَمَلُ فِيمَا جَفَّ بِهِ الْقَلَمُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ أَوْ فِي أَمْرٍ مُسْتَقْبَلٍ قَالَ: «بَلْ فِيمَا جَفَّ بِهِ الْقَلَمُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ، وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ».

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُصَفَّى الْحِمْصِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُكَذِّبُونَ بِأَقْدَارِ اللهِ، إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ، وَإِنْ لَقِيتُمُوهُمْ فَلَا تُسَلِّمُوا عَلَيْهِمْ»}.

هذا الباب العظيم يتناول الأحاديث الواردة في القدر، ولا شك أن المقام في موضوع القدر كالمقام في موضوع الإيمان، يحتاج الحقيقة إلى وقت، لكن ييسر الله بإذنه تعالى ما يعين على توضيح هذا بالقدر الممكن.

أول ما يذكر هنا معنى القدر، القدر هو تقدير الأشياء وعلم الله تعالى أنها ستقع وكتابته لذلك ومشيئته ووقوعها على حسب ما قدرها وخلق، يقول أهل العلم القدر سر الله في خلقه، وكثيرا ما هلك الهالكون بسبب الخروج عن المنهج الحق في التعامل مع القدر.

هل نتكلم في القدر، يقال هذه الجملة جملة مجملة، فإن أريد أنا نتكلم في القدر من خلال النصوص الواردة في القرآن والسنة، بيانا لها وشرحا لها، فهذا جزء من عقيدتك، في حديث جبريل «وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ»، فلا بد أن تؤمن بالقدر على حسب الوارد في النصوص.

أما إن كان المعنى أن نتكلم في القدر على سبيل الخوض الباطل، فلا، وهذا يسوق إلى ذكر أقسام النصوص الواردة في القدر.

النصوص الواردة في القدر يمكن أن تقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: إثبات ما يتعلق بالرب، وذلك بإثبات المراتب الأربع من القدر: العلم والكتابة والمشيئة والخلق؛ لأن الله تعالى علم كل شيء وكتب

ذلك في اللوح المحفوظ من قبل أن يقع، وأنه ما من أمر يقع إلا وقد شاءه الله، وأن الذي لا يشاء الله وقوعه لا يمكن أن يقع، المرتبة الرابعة: ما يتعلق بكون الله خالقا لكل شيء.

هذا ما يتعلق بالرب، فإذا أثبت ما يتعلق بالرب، يأتي القسم الثاني من النصوص، وهو إثبات ما يتعلق بالعبد، فإقرار العبد بأن الله علم وكتب وشاء وخلق لا يجعله غير مسئول عن أفعاله، فالعبد له استطاعة، وله مشيئة، لهذا لاحظ الذي ليس له استطاعة في حكم من الأحكام لا يثرب عليه شرعا، لماذا؟ لأنه ما عنده استطاعة، فالذي لا يستطيع أن يصلي قائما يصلي قاعدا، الذي لا يستطيع أن يصلي قاعدا يصلي على جنبه، حسب استطاعته، فما دامت الاستطاعة موجودة وللعبد مشيئة، فإنه مكلف بحسب مشيئته واستطاعته، وتأملوا في وصولنا اليوم للمسجد، جميعنا وصلنا إلى المسجد بمشيئتنا أو هناك من دفع في ظهورها بالقوة حتى أوصلنا، بمشيئتنا، إذن العبد يحس ويعلم أن له مشيئة، ولهذا ينطلق الناس بعد أن يؤذن المؤذن فيتجه هذا إلى المسجد، ويتجه هذا خارج المسجد، فللعبد مشيئة، لكن مشيئة العبد لا تقع إلا تحت مشيئة الله، لهذا قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ

اللهُ ﷻ [الإنسان: ٣٠]، فلا يمكن أن توقع أنت شيئا والله لا يريده، لكن إذا أراده تعالى وقع.

نمثل دائما بما وقع في بدر وفي أحد، النصر يوم بدر من شاءه؟ شاءه الله، والهزيمة يوم أحد من شاءها؟ شاءها الله، فهي بمشيئته تبارك وتعالى، لكن لهذه أسباب ولهذه أسباب.

العبد مسئول عن أفعاله الاختيارية، إذا قلنا أن هناك أفعال اختيارية فمعناه هناك غير اختيارية، أفعاله الاختيارية أكثر ما يفعل العاقل أفعال اختيارية، ملايين الأفعال اختيارية، ليست آلاف ملايين، إذا جلست على المائدة لتأكل فقط، يقع منك من الأفعال الاختيارية شيء كثير جدا فقط في أكلك، مدك يدك حتى تصل إلى موضع من المائدة هذا اختياري، ثم إمساكك بيدك شيئا في المائدة اختياري، ثم رفعك حتى يصل إلى فمك اختياري، ثم إدخاله فمك اختياري، ثم مضغك اختياري، ثم بلعك اختياري، وقس على هذا ما لا يحيط به إلا الله من الأفعال الاختيارية في لسانك في عينك في سمعك في تصرفاتك شيء كثير جدا.

الأفعال غير الاختيارية هي التي تقع رغما عنك، كأن تحمل فلذة كبدك وأحب الناس إليك فيسقط من بين يدك، هل تعمدته؟ لا، فهذا فعل غير

اختياري، ويمثلون لها بحركة المرتعش، المرتعش الذي تكون يده على الاهتزاز دائما، أو جسمه عموما، هذه حركة لا يستطيع أن يوقفها، حركة غير اختيارية، فالعبد يُسأل عن أفعاله الاختيارية، وهو يفرق بين الفعل الاختياري وغير الاختياري، ومن رحمة الله أن الله لا يسأل العبد إلا عن فعله الاختياري.

أما غير المكلف من صبي لم يبلغ أو مجنون فمهما قال أو فعل بالغا في الشناعة ما قال فإنه لا يحاسب، لكن الصغير قطعا يؤدب ويربى، لكن أن يكتب عليه ذنب أبدا لا يكتب عليه ذنب مهما قال، ولهذا يقول الصغار، تسمع الصغار صبيانك ماذا يقولون؟ يقول كلمات تنهد منها الجبال، كبيرة شديدة، لكن لا يؤاخذ، لماذا؟ لأنه ليس مثلك، أنت مكلف، عندك قدرة، عندك استطاعة، يتجه لك الخطاب، أما هو فمهما قال أو فعل لا يؤاخذ، إذن هذا القسم الثاني إثبات ما يتعلق بالعبد.

نأتي إلى القسم الثالث: وهو النهي عن الجدال والخوض الباطل في القدر، إذا أثبتنا ما يتعلق بالرب في القسم الأول، وأثبتنا في القسم الثاني ما يتعلق بالعبد، تأتي النصوص المحذرة من النزاع والجدال الباطل في القدر، الخوض الباطل في القدر غير شرح القدر، وغير بيان القدر، وغير بيان أن

للقدر ما يتعلق بالرب وما يتعلق بالعبد، هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم لجبريل: «وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ» تشرح للناس القدر، وأمر القدر أمر عظيم، ولهذا كان الأوزاعي كما روى ابن أبي حاتم إذا تكلم في القدر أو في القيامة لم يقطع حديثه، ولم يجب سائلا، حتى يفرغ منه، حتى يتسلسل الكلام في موضوع القدر ولا ينقطع.

يعني أنا الآن توقفنا قلنا إثبات ما يتعلق بالرب وتوقفنا، يصير فيه إشكال؛ لأن الموجودين سمعوا جانبا من القدر، لا، لا بد أن يسمعوا الجانب الثاني إثبات ما يتعلق بالعبد، ويبقى القسم الثالث، النهي عن الخوض والجدال الباطل في القدر، كيف يأتي الخوض والجدال في القدر بالباطل؟

إذا أثبتنا ما يتعلق بالرب نعلم أن النصوص المرتبطة بالرب لا تعارض النصوص المرتبطة بالعبد، فللعبد مسئولية بأفعاله والله عز وجل هو الذي يقدر الأمور، النزاع والجدال في القدر في عمومه الأغلب يأتي بالتركيز على نصوص القسم الأول وإغفال النصف الثاني، كما فعل من؟ الجبرية، ركزوا على ما يتعلق بالرب، وأغفلوا ما يتعلق بالرب وأن له مسئولية، عكسهم المعتزلة وأسلافهم القدرية، ركزوا على ما يتعلق بالعبد، وقالوا العبد هو الذي عنده المسئولية، حتى قالوا قاتلهم الله إن العبد هو الذي يخلق فعله،

ويشاءه مستقلا عن الله ويوقعه والله لم يشأه، لماذا كل هذا الغلو؟ لإثبات مسئولية العبد.

طيب الجبرية لماذا هذا الغلو؟ لإثبات أن الأمر إلى الرب، أهل السنة ولله الحمد كما هو دأبهم في جميع مسائل الاعتقاد يجمعون النصوص، كما قلنا قبل قليل في موضوع المرجئة وموضوع الخوارج، حين ركز هؤلاء على الوعد، وهؤلاء ركزوا على الوعيد، أهل السنة يجمعون نصوص الوعد والوعيد، أهل السنة يجمعون النصوص المرتبطة بالرب والنصوص المرتبطة بالعبد، فكون الله عز وجل كتب وعلم وشاء وخلق، لا يعني ذلك ألا تعمل، ولهذا يأتينا الحديث أن الصحابة قالوا: ألا نتكل على كتابنا وندع العمل، قال: «لَا، اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ».

فأمرهم بالعمل وهو الشيء الذي لأجله وجدنا، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ١، ٢] فخلقك الله لتعمل، أما ما الذي قدره الله عليك؟ هل تستطيع أن تعلم ما الذي قدره الله عليك، هذا من الشيطان، هذا يشغلك الشيطان بالذي ليس لك، هذا لله، قد قدر ما شاء سبحانه وتعالى وأمرك بالعمل، وأتت هذه البشارة العظمى في كتاب الله

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل: ٥، ٦] وعد ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: ٧]، أما ترضى بوعد الله، ﴿وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۞ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل: ٨، ٩] أين سيذهب ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ١٠].

ولهذا ولله الحمد والمنة في العموم الأغلب إذا سلك المسلم على السنة وعلى الهداية وترك آفات النفوس ولاحظ أمر الخلل المرتبط بالقلب والخلل المرتبط بالأعين؛ لأنه قد ينظر بعينه فيفتن، يقال ما الذي قال لك انظر بعينك، لماذا تنظر للنساء التي حرمهن الله عليك، ثم تفتن، أنت الذي أرسلت، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في النظر فإن لك الأولى النظر الفجأة وليست لك الآخرة، فرأيت امرأة اصرف نظرك مباشرة، فضلا عن أنك تتأمل صورة امرأة في شاشة جوالك، قد يسلط الله عليك في قلبك، ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ﴾ [الروم: ١٠].

لماذا أنت تفعل؟ أن تعلم أن الله حرم النظر، لماذا تنظر؟ تعلم أن الله عز وجل حرم عليك هذا النوع من المعاملة، اتق الله وكُف؛ لأن هذا العمل منك قد يترتب عليه عقوبة إلهية لك في دينك، وليس في دنياك، قد تكون في بدنك

ومالك على أحسن ما تكون، لكن تعاقب في دينك، ولهذا الزم المنهج، وأحسن بالله الظن، واتكل عليه.

يقول عبد الحق الإشبيلي رحمه الله تعالى: (ولله الحمد في عموم المسلمين أن من سلك المسلك الذي يرضي الله عز وجل أن الله يقبضه عليه)، ولهذا ولله الحمد يموت عدد كبير جدا من المسلمين على حسن خاتمة، لكن لا تقل إن في قلبي كِبْرا ما علمه الناس والله علمه قد يكون هذا زرع شر في نهاية المطاف يهلكك، لا تتكبر.

أيضًا لا يكون عندك ذنوب لا يعلم بها إلا الله، هذه خطيرة جدا جدا، كل الناس يثنون عليك، مستعد العلماء هنا كلهم يعطونك تزكية، لكن هناك ذنب تخفيه، يعني هان الله عليك حتى بارزته بالمعصية فيما لا يطلع عليه الناس، وصرت عند الناس من أحسن ما يكون من طلاب العلم، اتق الله في هذا، قد يسلط الله عليك ويسيء خاتمتك، لذلك يأتي في الحديث.. لعله يأتينا إن شاء الله الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَظْهَرُ لِلنَّاسِ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ» بأن يزاغ قلبه، لكن ولله الحمد، ولهذا انظر في خواتيم الصحابة نسأل الله الكريم من فضله، ختم لأبي بكر لعمر لعثمان لعلي بماذا؟ بأحسن خاتمة، ختم

للصحابة ختم للتابعين، لأئمة الإسلام تجدهم في أحسن ما يكون من الخاتمة؛ لأن الغالب من فضل الله وكرمه أن من درج على السنة وثبت عليها أنه يقبض عليها.

طيب نأتي إلى القسم الثالث من النصوص وهو الذي حذرت النصوص من الجدال والنزاع في القدر، معظم النزاع في القدر بأن يأخذ أحد آية أو حديث من القسم الأول المرتبط بالرب ويضرب به القسم الثاني المرتبط بالعبد، أو العكس، يأخذ نصا من النصوص التي تثبت مسئولية العبد ويريد أن يزيح بها ما يتعلق بتقدير الرب.

ولهذا جاء في الحديث: «أُخِّرَ النِّزَاعُ فِي الْقَدَرِ لِشِرَارِ أُمَّتِي آخِرَ الزَّمَانِ».

فالنزاع في القدر سبحان الله وجد من أخبث الطوائف وأشر الطوائف القدرية والجبرية؛ لأنهم فتنوا الناس وأوجدوا إشكالات وشبهات وما كان القدر فيه ذاك الإشكال، سيأتينا أن ابن الديلمي رحمه الله تعالى لما وقع في قلبه شيء من الإشكال ماذا فعل؟ ذهب للعلماء، ذهب لأبي لابن مسعود، قال: وقع في قلبي شيء أفتوني.. لكن ما يذهب ويضع ...

## مقدمة سنن ابن ماجه

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كنا قد سمعنا قراءة النصوص الواردة في القدر، ووضعنا المقدمة السابقة مثل ما وضعنا مقدمة في الإيمان لنربط النصوص الآتية هذه إن شاء الله عز وجل بتلك المقدمة وطالب العلم يراجع شروحات العقيدة في الكتب المأمونة من كتب أهل السنة التي شرحت مثل هذه المسائل، كما شرحها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، وهناك مجلد كامل في الفتاوى يتعلق بالقدر، وهناك الكتاب العظيم للحافظ ابن القيم واسمه شفاء العليل في تفاصيل مسائل القدر، ومجمل هذا جمعه الحافظ ابن أبي العز رحمه الله تعالى في شرح الطحاوية، فإن مجمل ما في شرح الطحاوية هو من علمي شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم رحمهم الله.

نتحدث إن شاء الله عز وجل الآن عن هذه النصوص إجمالا لعلنا أن نتمكن من قطع أكبر قدر ممكن من النصوص الآتية إن شاء الله عز وجل، والمقدمة كما ترى فيها هذه الأحاديث العظيمة فنحتاج إلى شيء من الإجمال الآن.

الحديث الأول حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن الإنسان «يُجْمَعُ خَلْقُ أَحَدِكُمْ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ» وهذا نص القرآن «يَبْعَثُ اللهُ إِلَيْهِ الْمَلَكَ، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ» عمله ورزقه وأجله وأمر شقائه أو سعادته.

ثم حلف صلى الله عليه وسلم بالذي بيده النفس وهو الله تعالى «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ» يعني الذي سبق أن كتب عليه «فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا»؛ لأنه قد يعمل كما في حديث مسلم، والبخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ»، الذي يبدو للناس هو الذي يشهدون به من الظاهر،أما البواطن فلا يحيط بها إلا الله عز وجل، وقلنا إن البواطن لها أثر كبير في النهايات، إذ إن الله تعالى يقول: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، فقد يكون في باطن الإنسان من الأمور التي لا يعلمها إلا الله نبتة تؤدي إلى هلكاته وفساد قلبه في نهاية المطاف، ولعل قلنا في هذا المقام إن أحد المشهورين بالإلحاد والارتداد وهو الذي ارتد عياذا بالله بعد أن تعلم العلم، ويُدعى عبد

الله القصيمي، فهذا ممن ألف وصنف ولكن في نهاية المطاف عياذا بالله ارتد على عقبيه، وخرج عن ملة الإسلام بالكلية عياذا بالله ورضي الإلحاد.

يقول الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله وقد زامله في الدراسة: يقول: كنا نلحظ عليه تمنعا على النصوص ونحن ندرس، كانت النبتة الخبيثة بالاعتراض على كلام الله وكلام رسوله موجودة في قلبه، فأثمرت تلك الثمرة التي ختمت به نهايته ومات عياذا بالله على الإلحاد.

فلأجل ذلك يقول ابن القيم رحمه الله: واحذر كمائن نفسك، كمائن جمع كمين، وهو العدو ينصب في الطريق لك كمينا لا تتفطن له، يقول النفوس فيها كمائن. يقول: واحذر كمائن نفسك التي متى خرجت عليك كسرت كسر مهان.

فيلاحظ الإنسان ذلك في قلبه، ويسأل الله تعالى صلاح قلبه، قال تعالى في صنف أراد هلكتهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة: ٤١]، المسلم يدعو الله طهر قلبي، طهر قلبي من النفاق، ويسعى إلى تزكية نفسه كما أنه يلتزم مظهر الشرع في الخارج، ويصلي ويلتزم ما أوجب الله عليه في مظهره وفي غيره، إلا أنه أيضًا يلاحظ أمر الباطن فإن أمر الباطن أمره عظيم، ويكون الله عز وجل عنده أعظم ناظر، لا يكترث بأمر الناس، يُربي

نفسه على هذا، ويسأل الله أن يعينه على الإخلاص، فيموت بإذن الله عز وجل وحوله ومِنته بفضله وكرمه وإحسانه مِيتة سليمة، كما مات ولله الحمد على ذلك من لا يحصيهم إلى الله.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل: ٥، ٦] وعد من الله ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: ٧]، الزم هذا المنهج السَّويَّ، وقد عرفته وعَلِمته فإيَّاك والتبديلَ والتغييرَ، وسَلِ الله الثبات، وأبعد عن نفسك المؤثرات التي قد تحرفك عن المنهج السوي بعد أن عرفته ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٧]، عرفت الحق، إياك والامتراء والشك، وأبعد عن نفسك ما قد يتسبب في انتكاسك من شبهات تقتحمها أو صحبة فاسدة تسبب لك الضر في دينك.

الخبر الذي بعد خبر ابن الديلمي رحمه الله من التابعين، وقع عنده شيء من الإشكال في القدر، فتصرف تصرف الصحيح؛ لأنه خشي أن تتسبب هذه الشبهات التي وردت عليه في إفساد دينه وأمره، فأتى أُبَيَّ بنَ كعبٍ، أتى الصحابة، أتى العلماء، يأتي إلى العالم ويقول: أنا عندي إشكال في مسألة كذا وكذا، فقال: أَبَا الْمُنْذِرِ إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي قلبي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ فَخَشِيتُ عَلَى دِينِي فَحَدِّثْنِي مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ.

فائدة كبيرة جدا يا طالب العلم، ما قال أعطني طريقة عقلية كما يسميها المعتزلة أو كذا، قال حدثني وأنت رجل من أهل العلم بالاعتقاد الحق الذي تعلمته وتلقيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لعل الله أن يزيل ذلك من قلبي، وهذا دليل على أن الشبهات الإزالة الحقيقية لها تكون في الكتاب والسنة.

فقال له: لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ. بدأ بمربط الفرس في الموضوع، من أين تأتي الشبهات، يأتي الشيطان لماذا يعذب الله هذا، لماذا لم يسلم هذا؟ الله تعالى لا يمكن أن يظلم مثقال ذرة، وهو أعلم كما قال عز وجل: ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، فكذلك هو أعلم حيث يجعل هدايته، هو يعلم أهل الهداية من أهل الضلال، ويعلم سبحانه وتعالى أن ثمة صنفا خبيثا لا يقبل الحق، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢، ٢٣].

فالله تعالى أعلم بمن يوفقه ومن يضله، إن وَفَّقَ، وفق فضلا وإحسانا، وإن أَضَلَّ، أضل عدلا منه تعالى.

وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، رحمته التي وسعت كل شيء أفضل من اعمالهم، ولو وكلوا إلى أعمالهم لهلكوا، لكنهم يرجون رحمة أرحم الراحمين.

ثم قال: لَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ ذهبا تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا قُبِلَ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، فَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ. ليدل على خطورة الانحراف العقدي، إذا جاء عندك انحراف فقد لا يقبل منك العمل، حتى لو أنك أنفقت هذا الإنفاق الهائل بأن تنفق مثل أحد ذهبا.

ثم قال: وَأَنَّكَ إِنْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ. إن مت على غير الاعتقاد السوي الصحيح الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخبر به أصحابه، وبلغوه لمن وراءهم إن مت على غيره دخلت النار، وفيه دلالة على أن الانحراف العقدي من أعظم أسباب دخول النار، وأنه إن كان انحرافا في بدعة فصاحبها متوعد بالنار، وإن كان انحرافا كليا بالخروج من الملة فإنه يكون من الهالكين المخلدين في النار.

ثم الحظ الأدب بين العلماء، ثم قال: وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ أَخِي عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَتَسْأَلَهُ. ما قال لا تتلقى العلم إلا من عندي، نصح له قال اذهب إلى

عبد الله بن مسعود فهو رجل من فقهاء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اسأله.

فأتاه فَذَكَرَ مِثْلَ مَا قَالَ أُبَيٌّ، وَقَالَ لِي: وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ حُذَيْفَةَ فَأَتَيْتُ حُذَيْفَةَ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالَا، وَقَالَ: ائْتِ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَاسْأَلْهُ. يدل هذا على ماذا؟ على الوحدة العقدية، عقيدة ابن مسعود هي عقيدة زيد هي عقيدة حذيفة هي عقيدة أبي، وإن ما عندنا إلا فرقة واحدة ناجية، هي فرقة واحدة عقيدتها واحدة، وهي عقيدة الصحابة رضي الله تعالى عنهم التي قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»، ولهذا ماذا يقول أبي: إِنْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ، إن مت على غير عقيدة هذه الفرقة الناجية تموت تدخل النار.

فلما أتى زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ حدثه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم: «لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ..» إلى آخره، مما يدلك على الكلام السابق من أُبَيٍّ من أين أتى به؟ من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم.

في حديث علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ» كل واحد من الناس، الله تعالى يعلم من سيكون منهم من أهل الجنة ومن سيكون من أهل

النار، مباشرة يرد السؤال، أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ الواحد منا الآن قد كتب هل هو من أهل الجنة أو من أهل النار، أفلا نتكل؟ يعني وندع العمل، هذا المعنى، فيصير الواحد منا إلى كتابه الذي كتب، فأعظم جواب على هذا السؤال الذي لن يجيب أحد من المتقدمين ولا من المتأخرين بجواب أفضل منه، هو جواب محمد صلى الله عليه وسلم، لأن هذا السؤال يتكرر، ما دام أن الإنسان قد كتب له، ألا يتكل على الكتاب، قَالَ: «لَا، اعْمَلُوا وَلَا تَتَّكِلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ» ثُمَّ قَرَأَ أي آية؟ آية سورة الليل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: ٥-٧]، إذا سلكت المسلك على هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فبحول وفضله وإحسانه ستثبت حتى تلقى الله على أحسن حال، فتيسر لليسرى، فاتكل على الله وأحسن به الظن، وليكن دينك أعظم عليك من دنياك.

الآن لو قيل للواحد منا الطريق هذا، إذا رجعت معه فيه قطاع طريق، لكن في طريق آخر أبعد منه بعشرة أميال، تذهب معه؟ يقول لو كان أبعد بمائة ميل أذهب معه، حفاظا على ماذا؟ على نفسك، دينك أعظم، نفسك هذه ستذهب لن تبقى، لكن دينك أعظم، فاحرص على دينك، والزم هذا الهدي،

﴿أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ سار على هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعده الله الذي لا يخلف وعده ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾.

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ أين سيصل؟ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾، ولهذا أخبر صلى الله عليه وسلم في حديث آخر أن ذلك لا يدرك بعمل، يعني لا تدرك هذه النتائج إلا بعمل، فيتكل العبد على عبده ويحسن به تعالى الظن.

الحديث الذي بعده: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ»، قوي الإيمان أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، هذا شيء يدل على ماذا؟ أيضًا مرة أخرى على أن الإيمان يزيد وينقص ويتفاوت الناس فيه. قال: «وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ»، ما دام مسلما فإنه على خير، «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ»، هذا فيه الأمر بعدم الاتكال على القدر، وأن يقول الإنسان إن كان قدر لي رزق فسأرزق، لا، احرص على ما ينفعك في أمر دينك ودنياك معا، مما ينفعك في أمر دينك أن تلزم المنهج السوي حتى تلقى الله تعالى سالما وتدخل الجنة، مما ينفعك في دنياك ما لا بد لك منه مثل طلب الرزق ونحوه احرص عليه حرصا يتناسب معه، واستعن بالله ولا تعجز، «فَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ» قدر لك قدر على خلاف ما تحب، «فَلَا تَقُلْ:

لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا» لا تقل: لو أني لم أخرج هذه الساعة ما حصل الحادث، ما يصلح هذا الكلام، لو هذه تفتح عمل الشيطان، «وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ» وقد تضبط «قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».

الحديث الذي بعده حديث احتجاج آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام على هيئة الله تعالى أعلم بها، في الحديث دلالة على عظم علم من؟ آدم، آدم علمه عظيم، والدليل: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، علم آدم عظيم جدا، ولذلك حج موسى، مع أن موسى من أعظم رسل الله عليهم الصلاة والسلام.

«فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ! أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا، وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ بِذَنْبِكَ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى! اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟»، قال صلى الله عليه وسلم: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى» ثلاث مرات.

تكلم الناس على المقصود بالحديث، ومن أحسن من تكلم على الحديث شيخ الإسلام وتلميذه العلامة ابن القيم في كتابه الماتع شفاء العليل، ذكر توجيهات كثيرة في الحديث، لعل من أقربها أن آدم حج موسى؛

لأن موسى لامه على ماذا يا إخوة؟ على الذنب وعلى ماذا؟ لامه على المعصية التي نالت الذرية بخروجهم من الجنة ونزولهم إلى دار الابتلاء، ولا يقول له لماذا فعلت؟ يقول تسبب ذنبك في هذا لذريتنا، ولذا قال: خيبتنا وأخرجتنا من الجنة جميعا، ترتب علي هذا، فلما لامه هذا اللوم، احتج آدم عليه بأن المصيبة التي حصلت للذرية كانت مكتوبة عليه قبل خلقه، فالإخراج من الجنة الذي نال الذرية هل هو أمر مرتبط بآدم مباشرة، أو ترتب عليه، هذا ترتب عليه وهو مكتوب.

قال ابن القيم: والقدر يحتج به في المصائب دون المعائب، إذا جاءت المصيبة من المصائب عليك تحتج بالقدر، بأن الله قدر هذا، كأن يقوم الإنسان ويجد نكبة نسأل الله لنا ولكم العفو والعافية في بيته في سيارته، فيقول: قدر الله وما شاء فعل على هذه المصيبة، كتبه الله تعالى والحمد على ما قضى، فيحتج في المصائب دون المعائب، يعني لا يقول إنسان يشرب الخمر قد قدر الله علي هذا، ما تحتج بهذه الطريقة، لأنك كأن تريد أن تسقط الحكم الشرعي عنك، ولهذا يقول ابن القيم: فالمعنى أتلومني على معصية قدرت علي وعليكم قبل خلقي بكذا وكذا سنة، هذا جواب.

يقول ابن القيم ويتوجه جواب آخر وهو أن القدر يحتج به متى؟ بعد التوبة من الذنب، كما حصل لآدم، بخلاف من يحتج بالقدر على إقامته على ذنب يصر عليه.

فإذا وقع من الإنسان ذنب من الذنوب تاب منه، واستغفر الله، وعزم على عدم العود، وتخلص منه تماما، قال: ذاك ذنب قدره الله عليه، ووقعت فيما وقعت فيه من تلك الكبيرة، أو من الشرك أو غيره، قدره الله عليه فالحمد لله على السلامة مما كنت فيه، والحمد على التوحيد وعلى السنة وعلى الهداية، يقول: في هذه الحالة يصلح؛ لأنه يذكر القدر الذي في ذنب تاب منه، أما إذا كان يذكر القدر في ذنب هو مقيم عليه ليستمر عليه فلا شك أن هذا احتجاج باطل، وهذا يدل على أن العلم درجات، وأن الناس تتفاوت فيه.

ثم ذكر حديث: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: بِاللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْقَدَرِ»، مثل ما قلنا بأنَّ هذا من أركان الإيمان.

حديث عائشة رضي الله عنها لما دُعِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جِنَازَةِ غُلَامٍ مِنْ الْأَنْصَارِ، فقالت: عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ فأنكر النبي صلى الله عليه وسلم هذا، لماذا؟ لأنها شهدت لمعين بالجنة وهذا لا يصلح،

وقَالَ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ».

أطفال المسلمين إذا ماتوا دل حديث سمرة على أن أطفال المسلمين الذين يموتون قبل أن يكتب عليهم شيء من الذنوب، قبل البلوغ، دل على أنهم في الجنة لحديث سمرة، ولأمر آخر ذكرته قبل قليل وهو أنهم ماذا؟ يشفعون، هم يشفعون أصلا، فهم يشفعون لآبائهم، فأطفال المسلمين في الجنة ولله الحمد.

النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد منها أن تشهد لهذا المعين، يعني لو مات طفل صغير اليوم لمسلم هذا الطفل عمره سنة، هل نقول هذا الطفل في الجنة، ما ينبغي هذا، لكن نشهد بالعموم، لأن الأصل ألا تشهد لأحد بالجنة إلا بنص، كشهادتك لأبي بكر لعمر، أما من حيث العموم بأن تشهد لعموم من مات على الإسلام والهداية بأنه من أهل الجنة في العموم، لكن من مات بعينه لا يصلح أن تقول هذا الآن من أهل الجنة، ولذلك أنكر عليها صلى الله عليه وسلم هذا.

حديث أبي هريرة هو الذي ذكرت في القسم الثالث، من النهي عن المنازعة والمخاصمة في القدر، فجاء مشركو قريش يخاصمون النبي صلى

الله عليه وسلم في القدر، فنزلت الآية، لأن المخاصمة في القدر غير السؤال عن القدر، المخاصمة في القدر عندك منازعة، وهذا منهي عنه كما قلنا في القسم الثالث من النصوص، فأنزل الله: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٨، ٤٩].

أما الخبر الذي بعده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ تَكَلَّمَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقَدَرِ سُئِلَ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ لَمْ يُسْأَلْ عَنْهُ». ففيه يحيى بن عثمان هذا شديد الضعف، وفيما يتعلق بالكلام في القدر، الواجب عدم التكلم في شيء من الدين عموما إلا بحق مبني على النصوص، سواء قدر وغيره.

ولا شك أن بعض المسائل إذا تكلم فيها المبطلون، كانت الفتنة فيها أكثر كمسائل القدر التي بثوا فيها الشبهات، وأربكوا بها العوام، مع أن القدر ولله الحمد من المسائل العقدية التي إذا أخذتها من النصوص لم تجد فيها أي إشكال، بل هي واضحة تدفعك إلى مزيد من العمل والإقدام على الطاعة، ولهذا لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة أن يعملوا حين قالوا: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، قال: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ».

قال سراقة رضي الله عنه: ما كنت أشد حرصا من العمل مني الآن، يعني الآن سأندفع للعمل وسأحرص عليه أكثر، إذ قد علمت الاعتقاد الحق في القدر، إذا علمت الاعتقاد الحق في القدر دفعك للعمل، ولا يدفعك للانتكاس، وتقول: ما دامت الأمور كتبت فلن أصلي وسأقدم على المعاصي فإن كنت في أهل الجنة ذهبت إلى الجنة، لا، ما يمكن، إذا علمت المنهج الصحيح دفعك ذلك للعمل، وعلمت وتستذكر دائما هذه الآية التي تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: ٥-٧]، فتلزم هذا المنهج وتسأل ربك الثبات عليه.

الحديث الآتي بعده من القسم الثالث الذي ذكرنا، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج مرة وبعض صحابته يختصمون في القدر، يقول الراوي: فَكَأَنَّمَا يُفْقَأُ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ، حب الرمان أحمر كما في اللفظ الآخر: احمر وجهه من الغضب صلى الله عليه وسلم، وقَالَ: «بِهَذَا أُمِرْتُمْ؟ أَمْ لِهَذَا خُلِقْتُمْ؟ تَضْرِبُونَ الْقُرْآنَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ» كيف يضرب القرآن بعضه ببعض، مثل ما ذكرت لكم، يأتي أحد ويأخذ آية من القسم الأول المتعلق بالرب ويحتج بها ليسقط ما يتعلق بمسئولية العبد، أو العكس، يأخذ آية فيما يتعلق

بمسئولية العبد ويركز عليها وكأنما يريد أن يسقط ما يتعلق بإثبات ما يتعلق بالرب، ولهذا في رواية اللالكائي أنه قال: هذا ينزع بآية -في الخصام هذا- وهذا ينزع بآية، فغضب صلى الله عليه وسلم، لأنك بهذه الطريقة كأنك تجعل هذه الآية مضادة لهذه الآية وليست مضادة، هذا لإثبات ما يتعلق بالرب، وهذا فيما يتعلق بالعبد، فكيف تجعل ما يتعلق بالرب معارضا لما يتعلق بالعبد، فقال: «بِهَذَا هَلَكَتْ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ»، هذه المناقشات هذه المنازعات، ضرب الكتاب المنزل بعضه ببعض يؤدي إلى الهلكة.

هل تنازع الصحابة بعد ذلك؟ مطلقا، من أعظم مزايا الصحابة أنهم إذا وعظوا اتعظوا، وإذا زجروا انزجروا رضي الله عنهم، فكفوا عن هذه المناقشة.

يقول عبد الله بن عمرو: مَا غَبَطْتُ نَفْسِي بِمَجْلِسٍ تَخَلَّفْتُ فِيهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا غَبَطْتُ نَفْسِي بِذَلِكَ الْمَجْلِسِ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم غضب على الصحب الذين فعلوا هذا، وتابوا رضي الله عنهم وندموا على ما وقع منهم.

الحديث الذي بعده «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَلَا هَامَةَ»، معروف الحديث، حديث صحيح في أصله، لكن هذه الزيادة، «ذَلِكُمُ الْقَدَرُ»، هذه لم ترد إلا في

لفظ هذا الحديث وفيه هذا الراوي، وهو مضعف، فابن حجر رحمه الله تعالى قال: ضعفوه لكثرة تدليسه، أما أبوه فقال ابن حجر في التقريب في موضع قال: هو مقبول، وقال في موضع آخر: هو مجهول، وفي التهذيب نقل قول أبي زرعة أن محله الصدق، فيبدو أنه اضطرب رحمه الله تعالى في ضبطه.

على كل الحديث فيه هذا الراوي الضعيف فلا يقبل ما تفرد به وزاد، وأصل الحديث صحيح «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَلَا هَامَةَ» في الصحيحين لكن هذه الزيادة «ذَلِكُمُ الْقَدَرُ، فَمَنْ أَجْرَبَ الْأَوَّلَ؟»، «ذَلِكُمُ الْقَدَرُ» هذه من زيادة هذا الراوي.

في حديث عدي رضي الله عنه أنهم قالوا سألوه لما أتى إلى الكوفة.. أيضًا هذا فيه عبد الأعلى وهو متروك، والسؤال عن الإسلام ومعناه تقدم ولله الحمد في حديث جبريل، فالحديث هذا أيضًا ضعيف.

الحديث الذي بعده: «مَثَلُ الْقَلْبِ مَثَلُ الرِّيشَةِ تُقَلِّبُهَا الرِّيَاحُ»، فيه يزيد الرقاشي هذا وهو ضعيف أيضًا، وورد في المسند بسند إن شاء الله لا بأس به: «مَثَلُ الْقَلْبِ كَمَثَلِ رِيشَةٍ مُعَلَّقَةٍ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ، يُقَلِّبُهَا الرِّيحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ»، ففيه دلالة ما يراد أن القلب عياذا بالله قد يتقلب، ولا سيما إذا عرضه صاحبه

للفتن، يتحدث الناس الآن عن شيء يسمونه سعة الأفق، اطلع على ما عند الآخرين، انظر في القنوات، انظر في المواقع الالكترونية، لا تجعل نفسك ضيق الأفق، وإنما اقرأ في كتب الملاحدة، في كتب الزنادقة، ما الذي يجعلك فقط تركز على شيء، هذه عبارات من لا يفهم، كون القلب يعرض لهذه المواضع الخطرة ولا سيما من قبل من لا علم عنده، يتأثر تأثرا كبيرا وواقع الناس يدل على هذا، يعني كثيرين تأثروا بعد أن انفتحوا على هذه المواضع من التواصل الاجتماعي، والقنوات الفضائية وما فيها من إشكالات، بل احرص على قلبك أعظم ما تحرص على جسدك، فإن القلب كما ذكرنا في الحديث: «كَمَثَلِ رِيشَةٍ مُعَلَّقَةٍ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ، يُقَلِّبُهَا الرِّيحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ» فالقلب لا ينبغي أن يعرض للخطر، تمام مثل ما أنك لو أتيت ووجدت شيئا من الخطر على جسدك مثل حفرة طويلة جدا قد تقفزها وقد تقع فيها، لا تعرض نفسك لمثل هذا، أو موضع فيه حريق لا تقتحم مثل هذا الموضع، فالقلب ينبغي أن يحرص عليه أكثر مما يحرص على الجسد.

في حديث الأنصاري هذا، أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: إِنَّ لِي جَارِيَةً -يعني جارية مملوكة- أَعْزِلُ عَنْهَا، العزل عنها معناه أنه إذا جامعها فإذا أراد القذف فإنه يقذف خارج فرجها حتى لا تحمل، فقَالَ:

«سَيَأْتِيهَا مَا قُدِّرَ لَهَا»، يعني إن كان قدر لها أن تحمل فستحمل، فَأَتَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ: قَدْ حَمَلَتْ الْجَارِيَةُ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا قُدِّرَ لِنَفْسٍ شَيْءٌ إِلَّا هِيَ كَائِنَةٌ»، يعني ما من نفس منفوسة إلى وهي كائنة، فالله عز وجل إذا أراد أن تحمل المرأة من نكاح أو حتى من سفاح، فستحمل، النفس المنفوسة التي قضاها الله عز وجل ستأتي على كل حال.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ، وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِخَطِيئَةٍ يَعْمَلُهَا»، أول الحديث معروف، آخره بهذا السند فيه ضعف.

قوله: «لَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ» الزيادة في العمر ما المراد بها؟ أليست الأعمار مقدرة؟ بلى، لكن قد قدر الله أن الذي يبر يزاد في عمره، وذلك مكتوب في القدر الأول، فيكون هذا البر وفق للبر، فأكرمه الله تعالى بسبب بره بأن أطال في عمره في الكتاب الأول.

قوله: «وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ» لا إشكال فيه، القدر هل يرده شيء؟ إن كان المقصود ما حتمه الله، فهذا لا يمكن أن يرد، لكن هل الدعاء نافع؟ بمعنى أن الإنسان إذا دعا فقد يحفظه الله عز وجل من بلاء؟ نعم، طيب هذا الدعاء مقدر أو غير مقدر؟ مقدر، فهو داخل في القدر، وفيه التنبيه إلى أهمية

الدعاء، فإذا ابتلي الإنسان في نفسه أو ماله أو في أهله فليلجأ إلى رب العالمين بالدعاء، فإن الله تعالى قد يرفع عنه، ويدفع عنه ما قد يأتيه من قدر.

فالقدر العام الشامل الذي علمه الله تعالى واقع لا محالة، لكن الله يقضي أن هذا يكون برا، وأخوه غير بر، فيكون البر أطول عمرا من غير البر، والذي دعا يدفع الله عز وجل عنه أمرا لولا أنه دعا لأصابه، ولهذا يصاب أناس بمصاب بسبب عدم دعاءهم، ولهذا تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، احرص على كثرة الدعاء في الرخاء في العافية، فإذا جاءت الشدة عافاك الله عز وجل.

حديث سراقة رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللهِ الْعَمَلُ فِيمَا جَفَّ بِهِ الْقَلَمُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ يعني هل العمل قد كتبت الأعمال أَوْ فِي أَمْرٍ مُسْتَقْبَلٍ قَالَ: «بَلْ فِيمَا جَفَّ بِهِ الْقَلَمُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ، وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»، وفي بعض الألفاظ أنه قال: ففيم العمل؟ قال: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ».

الحديث الذي بعده في ذم المنازعين في القدر، وسموا في هذا الحديث بالمجوس، مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُكَذِّبُونَ بالقدر، لماذا سموا بالمجوس؟ لأن المجوس يقولون -قاتلهم الله- هناك خالقان، خالق للخير وخالق

للشر، والمعتزلة وأضرابهم يقولون: الله لا يقدر الشر، فسموا في الحديث بالمجوس، هل الله يقدر الشر أو لا يقدره؟ الله يقدر كل شيء، كل شيء مقدر، لكنه يقدر الشر لحكمة، قدر على المسلمين وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر الهزيمة يوم أحد، والهزيمة خير أو شر؟ نص القرآن ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ سماها الله تعالى مصيبة، لم قدرها الله؟ الآن أن تدخل في مسألة الحكمة في تقديرها، ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، فكل ما يصيبنا فإنه بسبب كسب أيدينا نحن، والله تعالى لم يقدر علينا إلا بعض ما نستحق، لهذا قال: ﴿وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾، لكن الله تعالى يقدر عليك في بعض الأحيان ما يكون فيه زجر لك، وتنبيه، ولهذا حكمة الله في تقدير هذه المصائب ما هي؟ ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ لماذا يا رب؟ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، فلله فيه أبلغ الحكم.

يقول ابن سعدي رحمه الله: المراد بالفساد فساد معايشهم، فساد أرزاقهم، قد يحصل شيء من الخلل الكبير في الزروع وفي الأرزاق، بما كسبت أيدي الناس، إذا أطاعوا الله ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

لكن الله يقدر بأقدار يفيق بها من أحيا الله قلبه، وميت القلب لا يفيق، فلله فيها أبلغ الحكم، ولهذا قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ يعني يوم أحد ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ يوم بدر لأنهم يوم بدر قتلوا سبعين وأسروا سبعين، ويوم أحد قتل من الصحابة سبعون، فتساءل الصحابة أنى هذا؟ كيف يقع هذا؟ فينا رسول الله، ونحن المسلمون، وهم الكفار، كيف نغلب؟ ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥] يعني بسببكم.

من الذي قدرها؟ ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللهِ﴾ [آل عمران: ١٦٥، ١٦٦]، هو الذي قدر لا شك، لكنه تبارك وتعالى يقدر الأمور لحكمة بالغة، ولأجل ذلك قدر ما قدر من المصيبة يوم أحد، ﴿أَنَّى هَذَا﴾ كيف يقع هذا نهزم وفينا رسول الله؟ ليكون درسا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة، أن الله قد ينزل العقوبة وفي الناس ليس مجرد وجود الصالحين، وفي الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم، لماذا؟ الله عز وجل قال: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، ما الذي وقع من الصحابة رضي الله عنهم

يوم أحد؟ ألف معصية ولا معصية واحدة؟ واحدة فقط، وهي نزول الرماة عن الجبل، مع أمر النبي صلى الله عليه وسلم لهم ألا يبرحوا الجبل.

كم عصوا من معصية؟ واحدة، كم نعصي في اليوم الواحد؟ لا يحيط به إلا الله عز وجل، «يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ تُذْنِبُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» ذنوب كثيرة جدا، تقع بطريقة هائلة مروعة، حتى إن بعض الذنوب تتعجب كيف تقع من مسلم أو من مسلمة، ذنوب حتى دنسة وقذرة، يترفع عنها العاقل حتى لو ما عنده دين، كيف يقع هذا من مسلمين، ثم نقول لماذا سلط علينا اليهود والنصارى؟ لولا عفو الله ورأفته ورحمته لرأيت أشد، لأن الله قال وهو أرحم الراحمين ﴿وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

أنا دائما أمثل يا إخوة بهذا المثال وهو مثال صلاة الفجر، اسْبُرِ الناس ودَقِّقْ في وضع الناس في صلاة الفجر التي هي بإجماع المسلمين واجبة، أهذا وضع لأمة محمد صلى الله عليه وسلم سليم في صلاة الفجر؟ أن يصلي الأقل والحارات مزدحمة بالناس، ثم هي إلا ساعة واحدة نحن نخرج الآن من الفجر الساعة السادسة، انظر الشوارع الساعة السابعة، كأنك في بلد آخر، أين خرج هؤلاء الألوف بل مئات الألوف، خرجوا ليعملوا كم الفارق ساعة، أين ذهبوا إلى أعمالهم، والصلاة، قبل ساعة واحدة أين هم؟

فلذلك يقول: ﴿وَيعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ لو عوملنا بالذي نستحق، فضلا عن تبرج النساء، انتشار الأغاني، كثرة الجرأة على الله عز وجل، والوقاحة وقلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أمور مرعبة مخوفة، لكن الله عز وجل عفو رءوف، ولم يعطنا ما نستحق، فلهذا في القدر ارجع إلى نفسك، رجعت لنفسي فاتهمت حصادي، نرجع إلى أنفسنا، لأن الله تبارك وتعالى يعد وعدا لا يخلف، ﴿إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧].

وعد مربوط من رب العالمين، ما عندنا أسلحة نووية، جيوشنا غير مهيأة، اترك هذا الكلام عنك، لو شاء الله تعالى لجعل هذه الأسلحة الفتاكة أشد وبالا على أهلها، وهو على كل شيء قدير، لا تفكر بهذه الطريقة، اتبع ولتتبع أمة محمد صلى الله عليه وسلم منهج الله يخرجها رب العالمين من الذلة إلى العزة، ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ﴾ انظر العبارة؟ ﴿أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، نصرهم الله ببدر وهم أذلة.

ما هنالك أي مقارنة بين الصحابة في بدر وبين مشركي قريش، لا عددا ولا عُددا، وهكذا في المعارك الفاصلة، مثل اليرموك عدد المسلمين أربعون ألفا، وعدد الروم في بعض الروايات أنهم بلغوا مائتي ألف، وفي بعض الروايات أنهم مائة ألف، ما هنالك مقارنة لا في العدد ولا حتى في العُدد، لأن

ما تهيأت به الروم كان نوعا من العتاد أشد من عتاد العرب العادي الرمح والسيف ونحوه.

ونصروا نصرا مئزرا، وجعل الله الحيلة الكبيرة الهائلة والتخطيط الإستراتيجي العسكري الكبير الذي جعله الروم، جعله الله وبالا عليهم، وذلك أنهم خشوا أن يفر جنودهم من المسلمين، فقرروا فكرة لو تأملتها هي فكرة غاية في الدهاء، فربطوا كل عشرة أشخاص مع بعضهم حتى لا يستطيع أحد الفرار، هكذا فكر الإنسان، فجعل الله هذه الفكرة هي الوبال عليهم، كيف ذلك؟ إذا قتل واحد من هؤلاء العشرة يقول كفانا بقيتهم، صاروا يجرونه؛ لأنه ميت، تسعة ولو ربطوا جميعا، تخطيط إستراتيجي على أروع ما يكون جعله الله وبالا، أنت لا تسأل كيف النصر، الله يأتي به عز وجل.

ولهذا وعد الله عز وجل الأمة بالنصر إن هي نصرته، أما فتح الله أبواب النصر هذا لله عز وجل، لا يحيط به إلا الله، وتظل جهود الإنسان على أضعف ما يكون، فلذلك يكون في القدر أعظم ما يدفع الأمة للعودة إليه، ولهذا قال تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، ولام الله عز وجل من سأل ﴿أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥] ، ولهذا نصرهم الله ببدر وهم أذلة، وفي أحد كان النصر للمسلمين وولى الكفار الدبر، لكن

لما نزل الرماة وعصوا وهي معصية واحدة، ولم يتعمدوا المعصية عنادا حاشاهم، لكن قالوا ذهب العدو فما مكثنا هنا، وقد كان صلى الله عليه وسلم قال لهم كلام، وهذا يدلك على أهمية الاستمساك بظاهر النص، «لَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُ الطَّيْرَ تَتَخَطَّفُنَا» إن رأيتموهم انتصروا علينا فلا تعينونا، كلام واضح، لا تبرحوا حتى أبعث إليكم، لا تنزلوا من هذا الموضع فقط، قتالكم أن تبقوا هنا، هذا جهادكم، فرأوا رضي الله عنهم أن العدو ولى وأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يريد أن يبقوا هنا إلى ما لا نهاية، لكن كان مراده صلى الله عليه وسلم واضحا، لا تبرحوا حتى أبعث إليكم، وذكرهم بذلك أميرهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه، وقاوم هو المشركين أول ما أتوا حتى قطعوا حشوة بطنه، ظهرت حشوة بطنه من شدة مقاومته رضي الله عنه.

الحاصل أن القدر فيه أعظم ما يدفع المؤمن لزيادة إيمانه، والثبات وعظم الاستمساك بدين الله عز وجل وصدق التوكل على الله تبارك وتعالى، أما إن خاض على الخوض الذي يخوض به هؤلاء المفسدون في الأرض، فقد سماهم النبي صلى الله عليه وسلم بهذه التسمية: مجوس الأمة.

الحديث هذا ورد من طرق، لا تخلوا من مقال، لكن مجموعها يشد بعضه بعضا، ولهذا تسمى المعتزلة بمجوس الأمة، وهذا الحديث أيضًا في دلالة من دلائل النبوة، أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن هؤلاء المكذبين بالقدر سيأتون، وأنهم على طريقة المجوس، الذين يزعمون أنَّ الرَّبَّ لم يُقدِّر الشر، «إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ» ما يستحقوا العيادة لأنهم أهل بدع، إن مرض لا تعده ما دام على بدعته، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوا جنائزهم، «وَإِنْ لَقِيتُمُوهُمْ فَلَا تُسَلِّمُوا عَلَيْهِمْ»، هذا كما قلنا الحديث من حيث العموم أصله يعني إذا جمعت رواياته تدل على أنه له أصلا، وإن كانت بعض الروايات لا تخلو من شيء، ويمكن حديث معاوية رضي الله عنه سنده أمثل.

طيب أنا أرى الآن فيما يتعلق بفضائل الصحابة أن نتجاوزها كاملة؛ لأن هي سيرة وواضحة، وفيها بيان أمر مستقر عند كل سني، ما يتعلق بالصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وفضائلهم، ويسهل أن يقرأها القارئ، وأحاديثها كثيرة، فنذهب للباب الثاني عشر بعدها، رقم الحديث بحسب نسخة عندي (١٦٧)، كم عندك يا شيخ؟

إذن عندكم رقم الحديث (١٧٢) نذكر الخوارج، لعل الله ييسر أيضًا أن نذكر من بعدهم من الجهمية، فهذا الحقيقة يحتاج إلى شيء من الشرح أكثر، أما فضائل الصحابة فكل سني قد استقر عنده فضل الصحابة، ولعلكم تقرأون إن شاء الله تعالى النصوص هذه ولعل الله أن يهيئ أيضًا لقاء آخر نأخذ فيه المقدمة كاملة، لأن الحقيقة الفترة هذه فترة قصيرة، يعني فترة العصر والمغرب فقط، إذن نبدأ بذكر باب ذكر الخوارج إن شاء الله.

{الحمد لله، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم اغفر لنا ولشيخنا ولوالديه ولوالدينا وللحاضرين والمستمعين..

قال الإمام ابن ماجة رحمه الله تعالى:

## بَاب فِي ذِكْرِ الْخَوَارِجِ

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ابْنُ عُلَيَّةَ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ عَبِيدَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ وَذَكَرَ الْخَوَارِجَ فَقَالَ فِيهِمْ رَجُلٌ مُخْدَجُ الْيَدِ أَوْ مَوْدُونُ الْيَدِ أَوْ مَثْدُونُ الْيَدِ وَلَوْلَا أَنْ تَبْطَرُوا لَحَدَّثْتُكُمْ بِمَا وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ يَقْتُلُونَهُمْ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، قُلْتُ أَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: إِي وَرَبِّ الْكَعْبَةِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ زُرَارَةَ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ زِرٍّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ النَّاسِ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ، فَمَنْ لَقِيَهُمْ فَلْيَقْتُلْهُمْ فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ عِنْدَ اللهِ لِمَنْ قَتَلَهُمْ».

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ قَالَ: أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ هَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ فِي الْحَرُورِيَّةِ شَيْئًا؟ فَقَالَ: سَمِعْتُهُ يَذْكُرُ قَوْمًا يَتَعَبَّدُونَ يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصَوْمَهُ مَعَ صَوْمِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ، أَخَذَ سَهْمَهُ فَنَظَرَ فِي نَصْلِهِ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا فَنَظَرَ فِي رِصَافِهِ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا فَنَظَرَ فِي قِدْحِهِ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا فَنَظَرَ فِي الْقُذَذِ فَتَمَارَى هَلْ يَرَى شَيْئًا أَمْ لَا.

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الصَّامِتِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي، أَوْ سَيَكُونُ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حُلُوقَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ، هُمْ شِرَارُ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ»، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الصَّامِتِ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَافِعِ بْنِ عَمْرٍو أَخِي الْحَكَمِ بْنِ عَمْرٍو الْغِفَارِيِّ، فَقَالَ: وَأَنَا أَيْضًا قَدْ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَسُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ عَنْ سِمَاكٍ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيَقْرَأَنَّ الْقُرْآنَ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يَمْرُقُونَ مِنْ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ».

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ قَالَ: أَنْبَأَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجِعِرَّانَةِ وَهُوَ يَقْسِمُ التِّبْرَ وَالْغَنَائِمَ وَهُوَ فِي حِجْرِ بِلَالٍ فَقَالَ رَجُلٌ: اعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ بَعْدِي إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟»، فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللهِ حَتَّى أَضْرِبَ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ: «إِنَّ هَذَا فِي أَصْحَابٍ أَوْ أُصَيْحَابٍ لَهُ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ».

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَقُ الْأَزْرَقُ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ ابْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْخَوَارِجُ كِلَابُ النَّارِ».

حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمْزَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَنْشَأُ نَشْءٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ»، قَالَ ابْنُ عُمَرَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ، أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً، حَتَّى يَخْرُجَ فِي عِرَاضِهِمْ الدَّجَّالُ».

حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ خَلَفٍ أَبُو بِشْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَوْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ أَوْ حُلُوقَهُمْ، سِيمَاهُمُ التَّحْلِيقُ، إِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ -أَوْ إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ- فَاقْتُلُوهُمْ».

حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ أَبِي سَهْلٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ أَبِي غَالِبٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ يَقُولُ: شَرُّ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ وَخَيْرُ قَتْلَى مَنْ قَتَلُوا كِلَابُ

أَهْلِ النَّارِ، قَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ مُسْلِمِينَ فَصَارُوا كُفَّارًا، قُلْتُ: يَا أَبَا أُمَامَةَ هَذَا شَيْءٌ تَقُولُهُ؟ قَالَ: بَلْ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ}.

الأحاديث في الخوارج هي من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم، حيث أخبر بقوم يخرجون بعده في آخر الزمان، وهذا يدل على أن الصحابة سليمون من هذه البدعة، مثل ما تقدم في حديث: «أُخِّرَ النِّزَاعُ فِي الْقَدَرِ لِشِرَارِ أُمَّتِي آخِرَ الزَّمَانِ»، فكون هؤلاء من القدرية أو من الخوارج أو من غيرهم يقال فيهم آخر الزمان، يدل على سلامة زمان الصحابة رضي الله تعالى عنه وأرضاهم، الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم: «أَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي».

هذه الأحاديث كثيرة جدا، رواها البخاري ومسلم وأهل العلم، وأصل الخوارج نشأ عند خروجهم على عثمان رضي الله عنه في أصله، فأول الخوارج الحقيقة كانوا هم من قتلوا عثمان، لكن لم ينشئوا حروبا متطاولة وإنما أحاطوا بعثمان رضي الله عنه وقتلوه قتل الغدر، ثم إنهم صاروا لاحقا ذوي شوكة قوية، وقاتلوا عليا رضي الله عنه واستمروا يقاتلون المسلمين لأنهم يرون أنهم هم أهل الإسلام وأن من سواهم كفار قد ارتدوا، لما قلنا من أنهم بالغوا في أمر الكبائر وكان أول أمر أنكروه أن أنكروا على علي

رضي الله عنه التحكيم لما وقع قتال بين أهل العراق وأهل الشام في زمن علي رضي الله عنه، فأنكروا على علي رضي الله عنه قبول التحكيم، والتحاكم إلى ما فيه السلم وترك القتال.

النبي صلى الله عليه وسلم ذكر هؤلاء الخوارج ذكرا بالغ الوضوح، فأخبر أن علامتهم رجل مخدج اليد، خلقة يده ناقصة فيها قصر، وجاء أيضًا أن خلقة يده خلقت سبحان الله العظيم كثدي المرأة، فكانت علامة مميزة، قال: لولا أن تبطروا -يقولها علي- لَحَدَّثْتُكُمْ بِمَا وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ يَقْتُلُونَهُمْ، فقتلهم من أعظم ما يكون من القربة إلى الله عز وجل، وخير القتلى من قتلوه، يعني إذا استشهد أحد في قتال مع الخوارج فهو من خير القتلى.

في الحديث الذي بعده قال صلى الله عليه وسلم: «يَخْرُجُ» لاحظ الأوصاف: «فِي آخِرِ الزَّمَانِ» هذا أمر «قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ» يعني أنهم صغار شباب وهذا غالب على الخوارج، في عموم خروجهم أنهم في الغالب أنهم شباب، «سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ» عقولهم فيها سفه، لقلة علمهم، ولهذا من بلايا الخوارج أنهم بعيدون عن العلماء، فلهذا ينشأ فيهم السفه وقلة العلم وقلة الفهم، «يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ النَّاسِ» يقولون قولا خيرا صالحا، ويستدلون بالقرآن وأنهم على كذا وكذا من الخير، «يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ

تَرَاقِيَهُمْ» الترقوة عظم بين ثغرة النحر والعاتق، يعني أنهم بقراءتهم للقرآن لا يرفعها الله ولا يقبلها، «يَمْرُقُونَ مِنْ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ» عياذا بالله، هل هذا الحديث يدل على كفرهم؟ إذا قيل: مرق من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، السهم على أطلق على المرمية مثل حمام أو نحوه، فإنه يخرقها، إذا كان الرامي قويا ونظر في السهم وإذا به لم يختلط بشيء من لحم أو دم هذه المرمية لقوة ما نفذ فيها قد سبق الفرث والدم كما في الحديث، فلا يدل على كفر الخوارج اختار هذا بعض أهل العلم، وهو الذي اختاره أبو أمامة في آخر الأحاديث، أنه قال: قد كان هؤلاء مسلمون.

وهو ظاهر اختيار البخاري رحمه الله، واختيار شيخنا ابن باز رحمه الله تعالى أن الخوارج كفار، لهذه الأحاديث ولا سيما مع قوله: «يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ».

قال شيخ الإسلام: الذي عليه أكثر أهل العلم وهو المعروف عن أكثر الصحابة رضي الله عنهم أن الخوارج ليسوا كفارا، وإنما هم من أهل البدع والضلال لم يصلوا إلى حد الكفر، واستدل هذا بفعل علي رضي الله عنه، لو كانوا مرتدين لما تركهم علي، لأن علي متى قاتلهم؟ قاتلهم حين قتلوا عبد الله بن خباب، قبل ذلك ما قاتلهم، فلو كانوا مرتدين لما حل أن يتركوا.

الخوارج لهم صفات أخرى منها: شدة تعبدهم من جهة الصوم والصلاة، لا حول ولا قوة إلا بالله، أعوذ بالله من الفتن، العبادة، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة وهم أعبد الناس: «يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصَوْمَهُ مَعَ صَوْمِهِمْ» من كثرة تعبدهم، وهذا يدل يا إخوة على أن المعول على لزوم السنة، وإلا فبعض المتصوفة عندهم شيء من التعبد الهائل والأذكار المطولة تستغرق معظم يومه لكنها على غير السنة، وبعض الألفاظ فيها شرك ما تفيده، بل تضره.

فالعبرة بقوله تعالى: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]، وليس العبرة بمجرد كثرة العمل على غير السنة، وإلا هؤلاء أكثر عملا حتى يقول النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة.

ثم في الحديث الذي بعده قوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي» وهذا فيه التزكية للصحابة أن لا يكون منهم من الخوارج أحد، «يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حُلُوقَهُمْ» إلى قوله: «شِرَارُ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ»، وهذا مما استدل به شيخنا ابن باز رحمه الله على كفر الخوارج، قال: النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول هذا الكلام في أحد من المسلمين، فكونه يقول: شر الخلق والخليقة، وقوله: «قَتِيلُهُمْ شَرُّ قَتِيلٍ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ»، تحت

أديم السماء قتلى كثر من قتلى الكفار، من قتلى اليهود، من قتلى النصارى، من قتلى الملحدين البوذيين، يقول: فقوله في الخوارج «قَتِيلُهُمْ شَرُّ قَتِيلٍ» وقوله: «هُمْ شِرَارُ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ» لا يكون هذا إلا في كفار، وهذا اختياره رحمه الله تعالى لكن كما قلنا الصحيح إن شاء الله تعالى الذي عليه أكثر أهل العلم أنهم من الضلال ولا يصلون إلى حد الكفر المخرج من الملة، فكفرهم كفر أصغر وليس أكبر.

وهكذا الحديث الذي فيه أن هذا المتنطع أتى للنبي صلى الله عليه وسلم وهو يقسم غنائم، وفيها هذا التبر من الذهب، وكان هذا الذهب في حجر بلال، والنبي صلى الله عليه وسلم يقسم أهون ما على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم الدنيا، صلوات الله وسلامه عليه، فيقسم قسما يريد به تأليف قلوب هؤلاء من بعض أكابر أهل القبائل ونحوهم لعل الله تعالى أن يثبتهم على الإسلام، فلا يبالي صلى الله عليه وسلم بما قسم، فرآه يقسم هذا القسم فلأنه صاحب هوى ودنيا، قال: اعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ، حتى العبارة أولا كونك تقول للرسول صلى الله عليه وسلم اعدل أمر عظيم جدا، ثم تقول: يا محمد، فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ، عياذا بالله، فَقَالَ: «وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ بَعْدِي إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟»، لذا استأذن عمر رضي الله عنه أن يضرب عنقه، فَقَالَ عليه الصلاة

والسلام ترك قتله لأن الناس قد يتحدثون أن محمدا صلى الله عليه وسلم يقتل أصحابه، هذا الظاهر من أمره أنه مسلم وأنه مع المسلمين، قالوا: فمحمد إذا أسلمت يقتلك، فترك النبي صلى الله عليه وسلم قتل مثل هؤلاء حتى لا يتسبب ذلك في أن ينفر الناس من الإسلام.

لكن أخبر أن في أصحاب لهذا «يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ».

في هذا الحديث الآتي «الْخَوَارِجُ كِلَابُ النَّارِ»، وفي اللفظ الآخر: «كِلَابُ أَهْلِ النَّارِ»، هذا يدل على أنهم متوعدون بالنار، وعلى أنهم في موضع خسيس من النار، لأن الكلب يذكر عند الخسة، وهذا يدل على شدة عياذا بالله شدة عذابهم، لأنهم لم يكتفى بأن يذكر بأنهم في النار، بل هم معدودون في الكلاب في النار، أو كلاب أهل النار.

ثم انظر الحديث هذا الذي فيه قوله عليه الصلاة والسلام في الخوارج: «كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ»، يسلط الله عليهم من يقطعهم ومن يبيد خضراءهم، «حَتَّى يَخْرُجَ فِي عِرَاضِهِمْ الدَّجَّالُ»، هذه نهاية الغلو أيها الإخوة، الغلو نهايته سبحان الله الانعكاس، كما وقع لكثير من الذين غلو ومنهم بعض من كانوا ينتقدون المشايخ الأفاضل كالشيخ ابن باز وغيره، ويدعون أنهم أهل مما لأة

للحكام، وأنهم غير قائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع أنهم رحمهم الله من أعظم الناس أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر، كثير من هؤلاء الذين كانوا ينتقدون هؤلاء المشايخ الأفاضل الآن شلة من شلل اللبرالية المنتكسين، نسأل الله العافية والسلامة، لا يزال بعضهم يكتب الآن أسوأ الكتابة، وكانوا من أشد الناس غلوا.

هنا الخوارج في آخر أمرهم يتبعون الدجال، الدجال يدعي ماذا؟ يدعي أنه هو الرب، فهذه عاقبة الغلو ونهايته، أن ينتكس الإنسان عياذا بالله إلى الطرف المقابل، كما هو حال أهل الضلال، لهذا هم لا يعرفون المناصفة بتاتا، يكونون في طرف من السوء ثم ينتقلون إلى الطرف الأسوأ.

أخبر عليه الصلاة والسلام أنهم في وقته سيماهم التحليق، يعني أنهم كانوا يحلقون رؤوسهم بالموسى، فكانت هذه علامة أيضًا من علاماتهم، تكلم النووي وغيرهم من أهل العلم، قالوا: هل حلق الشعر مطلقا بحيث يجز نهائيا بالموس فيه إشكال؟ شيخ الإسلام وابن تيمية والنووي وغيرهم، قالوا: لا، لكن هذه سيمة في أولئك، أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يعرفوا بها، لكن لو وجد أحد يحلق شعره بالموس، هل يقال إن فعله هذا فعل خوارج؟ لا قطعا، لكن ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن هذه سيمة

وعلامة فيهم في ذلك الوقت، كما أنه أخبر بذاك الذي يده فيها ذاك النقص، حتى تكون علامة، قالوا: أما حلق الشعر بالموس بحيث يجز تماما هل يحرم؟ قالوا: لا يحرم لكن أراد صلى الله عليه وسلم أن يخبر بذلك الحال في ذاك الوقت، لأن عموم العرب كانوا يرسلون شعرهم في تلك المدة، فكان هؤلاء يخالفون بأن يحلقوه.

يبقى أمر حلق الشعر بالموس؟ يحرم، لا، لا يحرم، لا يقال إنه حرام، لكن أراد صلى الله عليه وسلم الإخبار بهذه العلامة.

في هذا الحديث قوله: قَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ مُسْلِمِينَ فَصَارُوا كُفَّارًا، هذا من قول أبي أمامة، أما قوله سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مراده أول الحديث، أما الاختيار بأنهم كفار فكما قلنا هذا مما اختاره رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وإن كان معظم الصحابة بل لا أعلم أحدا من الصحابة قال به سوى أبي أمامة رضي الله عنه، وإن كان قد يفهم من كلام أبي سعيد، قد يفهم فهما لأنه قال إن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنه يخرج في هذه الأمة، ولم يقل منها، هذا قد يفهم منه فهما أنه يرى أنهم ليسوا من الأمة.

هنا اقتراح من الشيخ أن يكون قراءة باب الجهمية الآتي دون شرح حتى نمر على أحاديثه، وهذا الذي في خاطري حقيقة..

على الأقل نجمع.. أنا أريد أن نسمع كلام ابن ماجة أكثر مما نسمع كلامي، فيه فائدة مهمة جدا، هذا الباب أعطاك من هم الجهمية، ابن ماجة الآن ماذا يقول؟ باب فيما أنكرت الجهمية، فهو يقول: من ينكر هذه الأحاديث فهو جهمي، هذا مراده، سيأتي الكلام إن شاء الله تعالى على معنى الجهمية بإذن الله عز وجل، ونقرأ جزءا من أحاديث ابن ماجة هنا، ثم نعلق ونحليكم في الباقي إن شاء الله تعالى على أن تقرءوه، لكن هذا الباب حقيقة من أفضل وأهم ما في المقدمة، لماذا؟ لأن ابن ماجة رحمه الله، لماذا يا إخوان؟ الخوارج ولله الحمد أمرهم واضح، فضائل الصحابة واضحة، ما يتعلق بموضوع العلم والقدر مثل ما ذكرنا، لكن ابن ماجة عسى الله أن يجعله منور القبر ويجزل له المثوبة، أعطى الأمة من هم الجهمية باختصار، باب فيما أنكرت الجهمية، ماذا يريد أن يقول؟ من أنكر حديثا من هذه الأحاديث وتأوله على غير تأويله سواء في الصفات أو في الرؤيا أو في جميع المذكور، فهو جهمي، هذا مراده، ولهذا هذا الباب من أهم الأبواب.

فسنقرأ جزءا منه إن شاء الله تعالى ثم نوقف القارئ ونعلق إن شاء الله عز وجل على بعض الأحاديث ونحيلكم فيما تبقى منه إلى مراد ابن ماجة رحمة الله تعالى عليه.

هذا الباب كما ذكرنا نجمل الكلام فيه بعض الشيء، ذكر فيه أحاديث الرؤيا وأنها بالعين إلى الله عز وجل، وذكر فيه أيضا أن الله يكلم عباده ويكلمونه في القيامة، وذكر فيه أن الرب تعالى يضحك، كما سيأتي إن شاء الله «ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ»، وذكر فيه ما يتعلق بإثبات اليد، والرحمة، والغضب، والسمع، وما يتعلق بأن الله تبارك وتعالى يأخذ سماواته وأرضه بيده، وأن بيده الأخرى الميزان، وأنه يرفع ويخفض، ويمين الله عز وجل، وإثبات الوجه، وإثبات سبحات الوجه، وإثبات الأصابع لله تبارك وتعالى، وإثبات الكلام.

كل هذا مما أورده رحمة الله تعالى عليه في هذه الأحاديث، يقول يا قارئ كتابي سأعطيك ما أنكرت الجهمية، هذه الأحاديث فإذا رأيت أحدا ينكرها ويتأولها على غير ما فسره الصحابة فهو جهمي، هذا مراده.

ونتحدث بإيجاز عن المراد بالجهمية، الجهمية نسبة إلى الجهم بن صفوان، والجهم بن صفوان أنكر الأسماء والصفات، فصار السلف ينسبون كل من ينكر شيئا من الأسماء أو شيئا من الصفات إليه، فيقال: جهمي، نسبة إلى الجهم، ولهذا سمى السلف المعتزلة بالجهمية مع أن الجهمية والمعتزلة على خصام، لماذا؟ لأن المعتزلة قالوا بقول الجهمية في الصفات.

فالجهمية ثلاث مراتب، الجهمية الغلاة هم أصحاب الجهم، أنكروا جميع الأسماء وجميع الصفات.

الصنف الثاني: الجهمية المعتزلة، وهم الذين أثبتوا الأسماء ونفوا الصفات.

الثالث: فروع الجهمية، وهم الذين أنكروا بعض الصفات وأثبتوا بعض الصفات.

ما منهج السلف الصالح؟ إثبات جميع الصفات، فلهذا كان السلف إذا أنكر أحد لو صفة واحدة نسبوه لجهم، لأن أول من أنكر الصفات هو الجهم بن صفوان، ونسمع الآن بعض الأحاديث ثم يكون فيما تسمع من الأحاديث وفيما ستقرأ في بقيتها فيه دلالة على أن من أنكر شيئا من هذه الصفات كالضحك أو الأصابع أو اليد أو الكلام أو السمع أو الرؤية فإنه من الجهمية.

{أحسن الله إليكم..

قال رحمه الله تعالى:

## بَاب فِيمَا أَنْكَرَتْ الْجَهْمِيَّةُ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ قال: حَدَّثَنَا أَبِي وَوَكِيعٌ ح، وَحَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قال: حَدَّثَنَا خَالِي يَعْلَى وَوَكِيعٌ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ

بْنُ أَبِي خَالِدٍ عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تَضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ قال: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عِيسَى الرَّمْلِيُّ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَضَامُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»، قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَكَذَلِكَ لَا تَضَامُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ الْهَمْدَانِيُّ قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ إِدْرِيسَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ أَنَرَى رَبَّنَا؟ قَالَ: «تَضَامُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ فِي غَيْرِ سَحَابٍ» قُلْنَا: لَا، قَالَ: «فَتَضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فِي غَيْرِ سَحَابٍ»، قَالُوا: لَا، قَالَ: «إِنَّكُمْ لَا تَضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ إِلَّا كَمَا تَضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا».

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قال: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ قال: أَنْبَأَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ عَنْ وَكِيعِ بْنِ حُدُسٍ عَنْ عَمِّهِ أَبِي رَزِينٍ قَالَ:

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أكلنا يَرَى اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَا آيَةُ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ، قَالَ: «يَا أَبَا رَزِينٍ! أَلَيْسَ كُلُّكُمْ يَرَى الْقَمَرَ مُخْلِيًا بِهِ؟» قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ «فَاللهُ أَعْظَمُ، وَذَلِكَ آيَةٌ فِي خَلْقِهِ».

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قال: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ قال: أَنْبَأَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ عَنْ وَكِيعِ بْنِ حُدُسٍ عَنْ عَمِّهِ أَبِي رَزِينٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَوَ يَضْحَكُ الرَّبُّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا.

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ قَالَا: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ قال: أَنْبَأَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ عَنْ وَكِيعِ بْنِ حُدُسٍ عَنْ عَمِّهِ أَبِي رَزِينٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ؟ قَالَ: «كَانَ فِي عَمَاءٍ مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ، ثُمَّ خَلْقٌ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ».

حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ مَسْعَدَةَ قال: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ قال: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ الْمَازِنِيِّ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ إِذْ عَرَضَ لَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ فِي النَّجْوَى، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يُدْنَى الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، ثُمَّ يُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ! يَا رَبِّ! أَعْرِفُ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ مِنْهُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَبْلُغَ، قَالَ: إِنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، قَالَ: ثُمَّ يُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ، أَوْ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ» قَالَ: «وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ فَيُنَادَى عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ» قَالَ: خَالِدٌ فِي الْأَشْهَادِ شَيْءٌ مِنِ انْقِطَاعٍ- ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي الشَّوَارِبِ قال: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ الْعَبَّادَانِيُّ قال: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ الرَّقَاشِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ، إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ، فَرَفَعُوا رُءُوسَهُمْ، فَإِذَا الرَّبُّ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ»، وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾، قَالَ: «فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ النَّعِيمِ مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَحْتَجِبَ عَنْهُمْ، وَيَبْقَى نُورُهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْهِمْ فِي دِيَارِهِمْ».

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ خَيْثَمَةَ عَنْ عَدِيِّ بنِ حَاتِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ

إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ مِنْ عَنْ أَيْمَنَ مِنْهُ، فَلَا يَرَى إِلَّا شَيْئًا قَدَّمَهُ، ثُمَّ يَنْظُرُ مِنْ عَنْ أَيْسَرَ مِنْهُ، فَلَا يَرَى إِلَّا شَيْئًا قَدَّمَهُ، ثُمَّ يَنْظُرُ أَمَامَهُ فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ».

حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الصَّمَدِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ الْأَشْعَرِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ».

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْقُدُّوسِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: تَلَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ وَقَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، نَادَى مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ، فَيَقُولُونَ: وَمَا هُوَ؟ أَلَمْ يُثَقِّلِ اللهُ مَوَازِينَنَا؟ وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ؟ وَيُنْجِنَا مِنَ النَّارِ؟»، قَالَ: «فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَوَاللهِ! مَا أَعْطَاهُمْ اللهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ، يَعْنِي إِلَيْهِ وَلَا أَقَرَّ لِأَعْيُنِهِمْ».

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قال: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ قال: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ تَمِيمِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتْ الْمُجَادِلَةُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ تَشْكُو زَوْجَهَا وَمَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قال: حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ عِيسَى عَنْ ابْنِ عَجْلَانَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ بِيَدِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ: رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي».

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ الْحِزَامِيُّ وَيَحْيَى بْنُ حَبِيبِ بْنِ عَرَبِيٍّ قَالَا: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ كَثِيرٍ الْأَنْصَارِيُّ الْحَرَامِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ طَلْحَةَ بْنَ خِرَاشٍ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ لَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ يَوْمَ أُحُدٍ لَقِيَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا جَابِرُ! أَلَا أُخْبِرُكَ مَا قَالَ اللهُ لِأَبِيكَ؟» وَقَالَ يَحْيَى فِي حَدِيثِهِ فَقَالَ: «يَا جَابِرُ! مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! اسْتُشْهِدَ أَبِي وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا، قَالَ: «أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللهُ بِهِ أَبَاكَ؟»، قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا، فَقَالَ: يَا عَبْدِي! تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ، قَالَ: يَا

رَبِّ! تُحْيِينِي، فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً، فَقَالَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ: إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُونَ، قَالَ: يَا رَبِّ! فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي»، قَالَ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قال: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يَضْحَكُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، كِلَاهُمَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَيُسْتَشْهَدُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَى قَاتِلِهِ، فَيُسْلِمُ، فَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَيُسْتَشْهَدُ».

حَدَّثَنَا حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى وَيُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ قال: أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قال: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقْبِضُ اللهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟»}.

هذه الأحاديث إن شاء الله تعالى فيها الدلالة على ما ذكرنا، وهكذا بقية الأحاديث التي لم نذكر، إما فيها إثبات أن الله تعالى فوق العرش، وأنه إذا قضى أمرا أصاب السماء رعدة شديدة من سماع صوته تعالى، وكذلك ما في

الحديث من أن حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره، إلى آخر هذه الأحاديث.

ابن ماجة يقول لكتابه: أنصحك نصيحة لله، خذها مني لا تنكر هذه النصوص فتكون جهميا، هذه المحصلة، إذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبت لربه الضحك، فاعلم أنه ضحك كما يليق بالله، إذا ذكر أن لله اليد فهي يد كما تليق بالله عز وجل، ولا يأتك الشيطان يقول لك هذا تشبيه، هذا لا يليق، فالله عز وجل صفاته ليست كصفات الخلق، كما أن علمه تعالى يليق به، وعلم المخلوق يليق به، ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، علم الله: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، إذا أثبت العلم لله، هل معنى ذلك أنك تشبهه بعلم المخلوق، سبحان الله، ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، علم المخلوق قليل، ضعيف، على حسب ضعفه وفناءه وافتقاره، وعلم الله عز وجل على ما يليق به، إذن فسائر الصفات كذلك.

فيقول ابن ماجة رحمة الله عليه وأجزل له عن الأمة خير الجزاء، باب فيما أنكرت الجهمية، من أنكر شيئا من هذه الصفات فهو على طريقة الجهمية، وسواء أنكر جميع الصفات كما أنكرت الجهمية، أو أقر بعضها وأنكر بعضها ففيه شعبة من شعب الجهمية حتى يثبت جميع النصوص.

وبذلك يعني لا نكون قد أتممنا هذا، وأرجوا الله تعالى أن ييسر لقاء آخر يكون فيه مدة أطول، ولا سيما في الصيف، مثل هذا الكتاب يحتاج حقيقة أن يقرأ في الصيف، حيث يطول العصر، ويكون نحو ثلاث ساعات، وإن شاء الله إنا نعيده لاحقا بإذن الله.

أما ما يتعلق بالسؤال الذي يطلب أن يسأل للأخوات، فهو الجهمية ثلاث درجات، ما درجات الجهمية؟، هذا هو السؤال وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه.

**حولت المادة الصوتية إلى نصية كما ألقيت ولم تتم مراجعتها من قبل الشيخ**